

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع شركة النشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشول
أحمد حسن الزيات

لإدارة

بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

المعد ٨٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ ذى الحجة سنة ١٣٥٣هـ - ١١ مارس سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

إلى أين يساق الأتراك؟

من السائرون في شحوب الأصيل على حدود المغرب ، يسرعون الخطى كأنهم يهربون من النار ، ولا يلتفتون إلى الخلف كأنهم ناجون من سدوم ؟ ! من السائرون بين النور والظلام على درب الخداع المبهم ، يخفقون كأطياف المساء على حواشي الطفل ، ويطمسون الطريق من وراء حتى لا يرجعوا إلى الأهل ؟ ! إنها أمة من صميم الشرق تشأت في نوره ، وطبعت على شعوره ، وتنفست في عطوره ، ألقت زمامها الأقدار الغالبة في يد عصبة من أبنائها ، ربوا في غير أحضانها ، فنشأوا على غير منشأها ، وجروا على خلاف مبدئها ، فقطعوها بالكراهة عن مشرق الشمس ومبعث الروح ومنبت العاطفة ومنشأ الدين ، وخرجوا بها متمسكين إلى طريق مشتبهة ، وغاية مريبة ، ودنيا مجهولة ، ثم قالوا لأنفسهم انسلخ عن شريقتك بأمر القانون ، ولقلوبها اعتقدت غير عقيدتك بحكم القوة ، ولألسنتها انطلقت غير لهجتك بإرادة الحاكم ، ولحاضرها انقطع عن الماضي بسطوة الجمهورية ، ولأرضها وبقيتها وطبيعتها انفصلن عن آسيا باذن الحكومة ! كأنما الأم

فهرس المعد

صفحة	
٣٦١	إلى أين يساق الأتراك : أحمد حسن الزيات
٣٦٣	السلطان : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
٣٦٨	النفارات الخلافة والسلطنة : الأستاذ محمد عيد الله عثمان
٣٧١	منازل الفضل : الأستاذ محمد محمود جلال
٣٧٣	روز : الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
٣٧٥	قصة المكروب : الدكتور أحمد زكي
٣٧٨	البيت بن سعد : الأستاذ علي الطنطاوي
٣٨١	معاورات أفلاطون : الأستاذ زكي نجيب محمود
٣٨٣	بين القاهرة وطوس : الدكتور عبد الوهاب منام
٣٨٦	الله (قصيدة) : الأستاذ أنور الطاهر
٣٨٧	عصبة الأم » : الأستاذ محمود غنيم
٣٨٧	الضحية » : الأستاذ محمد خورشيد
٣٨٧	منظر لامتاع » : الأستاذ غفرى أبو السعود
٣٨٨	تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا : الأستاذ خليل هندواي
٣٩٠	أرنيسوس الموسيقى (قصة) : الأستاذ دريخ خشبة
٣٩٤	رسائل سنت ييف
٣٩٥	للحقيقة والتاريخ . مجلة الثقافة الإسلامية في اسبانيا . مؤتمر نادى القلم الدولى
٣٩٦	العلم والسياسة . جوكو يصبح شاعراً . ذكرى علامة الماني
٣٩٧	بذرة أثرية في الهند تعثر على اكتشاف خريب
٣٩٨	من شقائق الطور - لمحمد إقبال : ترجمة منام
٣٩٩	الوحدة - للامرتين : ترجمة عبد الجبار الرجبى
٤٠٠	علم الدولة (كتاب) : الحنيف
٤٠٠	أبو تمام : » : »

تصاغ بالقوانين ، والطبائع تغير (الأوامر !!)

مهلاً ساقّة الظمن وهداة القافلة ! ! سترحلون عن وطن إلى
غربة ، وعن ولاء إلى عداوة ، وعن إخوة إلى سادة . ماذا تقيم
من الشرق مهد الانسان ومببط الأديان ومنبع الإلهام ومسرّح
الأحلام ومبدأ النشأة ؟ ألم يخلق اليابان اليوم كما خلق الصين
والهند وبابل والفرس والعبران والعرب بالأمس ؟

إن شمس المدينة أرسلت علينا أول أشعتها في صبح الوجود ،
ثم تمتعّ نخلاها فغمرتنا بالنور والشعور والقوة ، ثم انحدرت إلى
للغيب في بلاد المغرب حتى بلغت خيوطها أطراف الشفق ! انها
ستغرب لا محالة ، وانها ستشرق لا محالة ، وإن غروبها لا يكون
إلا هناك ، وإن شروقها لا يكون إلا هنا . فلم لا تنتظرون معنا
يا بني الم طلوعها الجديد القريب على موطنها الأول ؟

لقد ذرّ منها كما ترون على اليابان أشعة ، وبصّ منها الساعة على
مهاد العروبة وبلاد الاسلام شعاعاً وعما قليل يسيل في أقصى
الشرق وفي أدناه وهجها وسناها ، قهتز الأرض من جديد وتربو ،
ثم تشفق عن العبريات التي ارتجلت الحكمة ، واكتشفت
المعرفة ، وسنت الأخلاق ، ودققت مدنية الانسان إلى مذاها البعيد

قالوا لتركى الأناضول : مالك ولشرق ، ومالك وللعرب ،
ومالك وللإسلام ؟ تعال نبحث عن أجدادك في الأولمب ، وعن
قومك في الفورم ، وعن مدنيّك في اللوفر ؟ ثم ألزموه أن يلبس
القبعة ، وأرغموه أن يكتب من الشمال ، وفصلوا الذين عت
الحكومة ، وانتزعوا العربية من التركية ، وحرّموا الشعب المتدين
تقاليد الاسلام ، وحرّموا عليه أخلاق الشرق ، ثم ألغوا العيدين ،
واستبدلوا بعيد الجمعة عيد الأحد ، ثم قلوا الأمة المروعة المشدوهة
على المدرّعات إلى الشاطىء الأوربي ، ثم أحرّقوا من ورائها
سفائن طارق !

على أن التركي الأصيل الذي استضاء بهدى الاسلام ،
وتتقف بعلم العرب ، وسام في مجد الفتوح ، لم يصغ قلبه لهذا

التغير المفروض ، فظل فؤاده حيث طبعه محمد الرسول ، وجسمه
حيث وضعه محمد الفاتح !

أما موضع الخطر فأولئك النشء الذين قست عليهم الحرب ،
وبغت عليهم السلم ، فحصروا علل أخطائهم وأسباب أوزائهم في
معنى الخلافة فنقوها من الأرض ، ثم أفرط عليهم العداة فتحبّثوا
ما يلبسها من شرقية وعروبة ودين ؛ أولئك سيزهقون في
حاضرهم روح الماضي ، ويقطعون عن ضائهم صوت التاريخ ،
ويبنون قوميتهم على أسس مستعارة ، ويمجدون شخصيتهم على
تقليد طائش ، ويخضعون عقليتهم لعبودية قاتلة ، ثم يتنفخون
بالصوت الرفيع للدل : ان تركية للترك ! فيقول لهم الدهر الساخر :
نعم ، وإن الترك لأوربا !

لقامة الغازي العظيم أتاتورك ! لقد جبرت الجناح المبيض ،
وأحييت « الرجل المبيض » ، وأقذت من برائن العوادي السود
تركية الفتاة ، ما في ذلك شك . فاسمك العزيز عناوات تاريخها
الحديث ، وعزمك الجبار قوام دستورها القائم ، وروحك الوثاب
سناد مستقبلها الطارف ، ولكذك ظلت تاريخك الخاص بمخالفة
الطبيعة في التجديد ، وبجانبية المنطق في الإصلاح . أخشى أن
يسجل الرقيب الذي لا يفشل أنك أحييت دولة وأمتاً أمة ،
وبنيت دستوراً وهدمت عقيدة ، وبشت لغة ودفت ثقافة !

ما جريرة العرب على الترك وقد استخلفوم على الدين
واستأنزوم على الرسالة ؟ وما جريمة الاسلام على الترك وقد نعشهم
من الحول وأخرجهم من الجهالة ؟ وماذا يبقى من الترك ولغة
الترك وثقافة الترك إذا محوت أثر العروبة ودينها من كل ذلك ؟

إن العرب ليسوا أقل شأناً من الطليان والجرمان ، والاسلام
ليس بأضعف في رفع الشعوب من وثنية اليابان ، ولكنها موجة
من المادية الطاغية غشت على الأبصار وطفّت على البصائر ،
ستنحسر غمرتها عن مجالى الفضيلة والحق ولو بعد حين !

أحمد الزيات

* أتاتورك لقب جديد للغازي مصطفى كمال مناه : « التركي الأب »
أى أبو الترك

الشَّيْطَانُ ...

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال الشيخ أبو الحسن بن الدقّاق : كان شيخني أبو عبد الله محمد « الأزهرى المعجى » — رضى الله عنه — رجلاً صاحب آيات وخوارق مما فوق العقل ، كأنما هو سرٌّ من الأسرار الجارية في هذا الكون ، قد بلغ بنفسه رتبة النجم في أفق البعيد ؛ ففقه أهواء الإنسان وشهواته وطبائعها ، إلا أنها كنور النجم في تألقه ولألانه من إشراق روحه وصفائها ؟ وقد ارتفع بأدميته فوق نفسها ؛ فأصبح في الناس ومعه سبأؤه ، يجعلها بين قلبه وبين الدنيا

والرجل إذا بلغ هذا المبلغ كان حياً كاليت ساعة احتضاره ؛ ينظر إلى كل ما في الحياة نظرة من يترك لا من يأخذ ، ومن يعتبر لا من يفتقر ، ومن يلفظ لا من يتدوّق ، ومن يدرك السر لا من يتعلق بالظاهر . ويرى الشهوات كأنها من لغة لا يعرفها ، فهي ألفاظ فيها معاني أهلها لا معانيه ، وإنما تلبس كلماتنا بمعانيها من أنفسنا . وفي النفوس مثل المشيم ؛ وإذا وقعت فيه الماني المشتعلة استطار حريقاً وتفرم ، وفيها على المجاهدة مثل الماء ؛ إذا خالطته تلك الماني انطفأت فيه وحمدت

وقد سألت الشيخ مرة : كيف تحدث الكرامات والخوارق للإنسان ؟ فقال : يا ولدي ، إن الإنسان من الناس المحجوبين يتصرف في جسمه ولا يكاد يملك روحانيته شيئاً ، فإذا أبلى في المجاهدة ووقع في قلبه النور ، تصرف في روحانيته ولا يكاد يملك لجسمه شيئاً ، فمن أطلق أن ينسليخ من بشريته ، واتسعت ذاته في معاني السماء بمقدار ما ضاقت من معاني الأرض ، وكان معداً لأن يتحقق في روحانيته ، معاناً على ذلك بطبيعة فوق الاعتدال — فقد شاع في الكون وأصاب له وجهاً ومذهباً إلى تلك القوة التي تهدم في العالم وتبني ، وتفرق وتجمع ، وتنقل الصور بعضها إلى بعض ؛ فإن الكون كله جوهر واحد هو النور . حتى الجبل هو نور صخري ، وجتى البحر هو نور مائي ، وحتى الحديد

والذهب والتراب ، كل ذلك نور^(١) صرفته القدرة الآتية تصرفها المعجز ، فكان على ما نرى : ظاهراً غيلاً بلائم تعمنا وعجزنا ، وحقيقة قارة على غير ما نرى . لأن ذا يعقل أن الصخر نور متجمد إذا لم يكن له إلا عقل عينه وحواسه ، ومن ذا يطبق أن يفهم بحواسه وعينه قول الله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب » صنع الله الذي أتقن كل شيء . « ؟ فالجبال جامدة ثابتة ، غير أنها تمرّ بأرضها وتمرج في نفسها ؛ وسى تأذن الله أن ينكشف نور كلامه للعقل الانساني ، فتكون هذه الآية علماً جديداً في الأرض يثبت أن السحاب والجبل مادة واحدة وصنع واحد

وبالها سخرية بالإنسان وجهله ؛ فإنه إذا كانت الحقيقة غير ما نرى ، فكل شيء في الدنيا هو رد على النظر الانساني ، ويكاد الجبل العظيم يكون كلمة عظيمة تقول للإنسان : « كذبت ! » فالتأني في الخوارق والكرامات راجع إلى القدرة أن يسلط الإنسان الروحاني مانيه من سر النور على ما في بعض الأشياء من هذا السر ، وتلك هي طاعة بعض الكون لن يتصرف عن المادة ويتصل بخالقها

فإذا بقى في الرجل الروحاني شيء من أمر جسمه يقول : « أنا ... » لم يكن في الرجل من تلك القدرة ذرة ؛ فإن هو حاول أن يخرق العادة أبي الكون أن يعرفه إلا كما يعرف حجراً ملقى يحاول أن يتصرف بالجبل الذي هو منه فينقله أو يزحزحه أو يزله ولا خير على الأرض مطلقاً إلا وهو أخذ من حقوق هذه

« أنا ... » في إنسانها ، ولا شر على الأرض مطلقاً إلا وهو إضافة حقوق إليها ؛ فحين لا يبقى له حق في شيء عند نفسها ، يجب لها الحق على كل شيء . وهذه هي الكرامة ؛ تكريم الخليفة من أكرمه الخالق

فمن أراد أن تتصل نفسه بالله فلا يكن في نفسه شيء من

حظ نفسه ، ولا يؤمن إيمان هؤلاء العامة : يكون إيمانهم بالله

فكرة تذكر وتنسى ، أما عملهم فهو إيمانهم الراسخ بالجسم

وشهواته يذكر ولا ينسى .

(١) كلمة (النور) هذه هي التي يعبر عنها اليوم بالكبرياء ، وقد ثبت أن الكون كله هو هذه الكبرياء متجمدة على ما شاء الله أن تكون

وأنت ترى رجالَ الروح يأكلون ويشربون ويلبسون ، ولكن هذا كله ليس فيه ذرة من أرواحهم ، على خلاف غيرهم من الناس ؛ فهو لا يأكل كلُّ أرواحهم في مطاعمهم ومناعهم ؛ ومن ثمَّ لا يجري الشيطان من الأولين إلا في مجارِ ضيقة أشد الضيق لا يكاد ينفذُ منها إلى فكر أو شهوة أو حلم من أحلام الدنيا ، أما الآخرون فالشيطان فيهم هو تيار الدم يعبُّ عباؤه في الأسفل والأعلى

قال أبو الحسن : وكنا يومئذ في دمشق ، فنهيتُ كلامُ الشيخ عن الشيطان إلى ما قرأته عن كثيرين ممن رأوا الشيطان أو حاوروه أو صارعوه ؛ فقلت للشيخ : إن من حَقَّك على أن أسألك حقَّ عليك ، وما في نفسي أحب إلي ولا أعجب من أن أرى الشيطانَ وأأكله وأصممه ؛ وأنت قادرٌ أن تنقلني إليه كما نقلتني إلى ما دخلتُ به عليه من عوالم النيب

قال الشيخ : وماذا يردُّ عليك أن ترى الشيطان وتكلمه ؟ قلت : سبحان الله ! لا يجدي عليَّ شيئاً إلا أن أسخر منه قال الشيخ : فاني أخشى — يا ولدي — أن يكون الشيطان هو الذي يريد أن تراه وتسمعه . . .

قلت : فاني أريد أن أسأله عن سره ، فيكون علماً لاسخرية قال : لو كشف لك عن سره لما كان شيطاناً ، فانما هو شيطان بسره لا بغيره

قلت : فأريد أن أرى الشيطان لأكون قد رأيت الشيطان ! قال الشيخ : لاحول ولا قوة إلا بالله ! لو كنت يا أبا الحسن بأربع أرجلٍ لمربت من الشيطان بثلاثٍ منها وتركته يجررك من واحدة !

قلت : يا سيدي ، فلو كنت حماراً لبطلَ عملُ الشيطان في أرجلي الأربع كلها ، إذ لا حاجة به إلى إغواء حمار !

فتبسّم الشيخ وقال : ولا بد أن ترى الشيطان وتكلمه ؟

قلت : لا بد

قال : إنه هو يقولها ، فقم !

قال أبو الحسن : وكان الشيخ إذا مشى إلى أمرٍ خارق بقيتُ معه غائباً عن الحس ، كأنه يُبطلُ مني ما أنا به أنا ، فأصبحُ ظلاً آدمياً معلقاً به . ولا تقع الخوارق إلا لمن وجد القوة المُكتملة لروحه ، وهذه القوة تستمدُّ من الشيخ الواسل ، فلا بد من إمام يأخذ عن إمام ، كأنها سلسلةٌ نفسيةٌ متميزةٌ في الأرض ، فتتغير الواحدة منها بالواحدة إذ تقع في جوتها فتورق وتثمر ؛ كالشجرة جوتٌ يكسوها وجوتٌ يذبلها وجوتٌ يسلبها سلباً ، وكذلك تفعل النفس إذا كان لها جوتٌ

وخرجنا من دمشق وأنا خلف الشيخ كالمحمول ، فرأيتنا وقد أشرقنا على بناء عظيم ، ورأيتُ أقواماً يتلقون الشيخ ويسلمون عليه ويتبرّكون بمقدّمه ؟ فأنكرتهم نفسي ووجدتُ منهم وحشة ، فالتفتُ إلى الشيخ وقال : هؤلاء قوم من الجن ، وما اليهم قصداً فلا تشغلُ بما ترى واشتغلُ بي

ثم تنتهي إلى البناء العظيم ، فتستقبلنا طائفةٌ أخرى ، ويدخلون الشيخ وأنا خلفه ، ويمرّون بنا على دنيا غجوبةٍ تمجّز الوصف مما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، فيقولون : هذه كنوزُ سليمان وذخائره ، ويطوفون بالشيخ يرضونها عليه كنزاً كنزاً ، فرأينا ثمّ نمياً ومملكا كبيراً ، ثم انتهينا آخرها إلى مغارة خسيقة كأنها عرقٌ من عروق جسم الأرض ، يتفجّر منها دوى كالرعد القاصف إلا أنه في السمع نكوار الثور ، إلا أنه ثورٌ نُخيلٌ إلى أن رأسه في قدر جبلٍ عظيم ، يتلاق به غيبٌ (١) في قدر جبلٍ آخر ، على جسم يسدُّ الخافقين ، فخواره كأنه صراخ الأرض ، وإذا أنا بأقبح مكان منظرًا ، وأنتنٍ ريحاً ، كأنه سجنٌ بناؤه من الجليف

فقلت : ما هذا ؟ قالوا : هذا سجنُ إبليس ، وهو هنا في هذه المغارة منذ زمن سليمان عليه السلام

قلت : أفسجون هو ؟

قالوا : وإنه مع ذلك مُوقَرٌ بأمثال الجبال حديدًا يربطُ به في حبسه ، فلا يترجّح ولا يتحلّحل

قلت : وإنه مع ذلك قد ملأ الدنيا فساداً ، فكيف به لو كان طليفاً ؟

(١) غيب الثور وغيبه : ما تنبى من لحم ذقته من أسفل

لأمن اللبس أن يكون الفعل به وهو الثوب مرفوعاً وفاعله وهو
المسار منصوباً ، هل جئت - ويحك - تطالب النجو أو تطالب
الشيطان ؟

قال أبو الحسن : قطعني الجني (والله) وأخجلني ، ونظرت
خلصة الى الشيخ أراه كيف يسخر مني ، فإذا الشيخ قد أمّس
فلا أراه ، وإذا أنا وحدي بين الجنّ وبازاء هذا الساخر الذي
وُضعت عينه في جبهته وشقّ فيه في قفاه . . . ! فسرّيت عني
وزال ما أجده ، وقلت في نفسي : الآن أبلغ أربي من الشيطان
ويكون الأمر على ما أريد فلا أجد من أحشتم ولا تقطعني
هية الشيخ !

ووقع هذا الخاطر في نفسي ، فاستعدت بالله ولعنت الشيطان
وقلت : هذه أول عبته بي وجعله إياي من أهل الزباء ، كأن لي
شأناً في حضور الشيخ وشأناً في غيابه ، وكأنني مناقق أغان غير
ما أيسر ، وقلت : إنا لله ! كدت يا أبا الحسن تتشيطان !
ثم هممت أن أنكس على عقي ، فقد أيقنت أن الشيخ
إنما تخلى عني لأكون هنا بنفسى لا به ، وما أنا هنا إلا به لا
بنفسى ، فيوشك إذا بقيت في موضعي أن أهلك ! بيد أن
العادة انكشفت لي فجأة ، فما ملكت أن أنظر ؟ ونظرت فما
ملكنت أن أفق ، ووقفت أرى ، فإذا دخان قد هاج فارفع
يشور نوراً أنه حتى تحلأ المكان به ، ثم وقى وأطفأ

وأستصرمت منه ناراً عظيمة ، لها وهجان شديد يضطرم
بعضها في بعض ، ويسمّع من صوتها مغممة قوية ثم أخذت
وأنفجر في موضعها كالسدّ المنشق من ماء كثيف أبيض
أصفر أحمر ، كأنه صديد يتقيح في دم ثم غاض
وتنبّست في مكانه سحابة مننّة جعلت ربو وتغطم حتى
خفت أن تبلمني وأذهب فيها ، فسميت الله تعالى ففارت في
الأرض

ثم نظرت فإذا كلب أسود يحمرّ الحناليق هائل الحلقة
مستأسد ، قد وقف على جيفة قدرة غاب فيها خطمه بعُـب
مما تسيل به

فقلت : أيها الكلب ، أنت الشيطان ؟

قالوا : فلو أنه كان طليقاً لاستحوذ على الناس كافة فيجتمع
أهل الأرض على شهوة واحدة لا شيء غيرها ، فيبطل مع هذه
الشهوة الواحدة كل تدبير بينهم ، فلا تقوم لهم سياسة ولا يكون
بينهم وازع ، فيجمعون كالكلاب أصابها الكلب وهاج بها ،
فأنيابها في لحمها ، لا يزال بعض بمعضها بمعضاً ، فليس لجميعها إلا
عمل واحد يسلمها الى الهلاك ، ويصبح ظهر الأرض أعرى
من سرة آدم

وإنما يصلح الناس باختلاف شهواتهم وتنافرها وتنازعها ؛
فبعضها يحكم بعضاً ، وشيء منها يزغ شيئاً ، ومن تخلص من
زوجة وقع بهاروة أخرى ، كالزوج الحصن ، يحكم بالجلد والرجم
على من ليست له امرأة فزنا ؛ كالنبي الواجد ، يحكم على اللص
الذي لم يجد فسرقة ، وهلم جرا . وما ينشأ الناس في ثلاثة أعمار
فيشبّون ويكهلون ويهرمون ، إلا لتختلف شهواتهم وتختلف
مقادير الرغبة فيها ، فتتحقق من ثم تلك الحكمة الآتية في
التدبير ، ويجد الشرع عمله بينهم ، كما يجد العصيان بينهم محله
. ولو أن أمة كلها أطفال أو كهول أو شبوخ لبادت في جيل
واحد ، ولأنه ليس أمتج من الرذيلة تكون وحدها في الأرض إلا
الفضيلة تكون وحدها ، فلا بد من شيء يظهر به شيء غيره ،
كالضد والعدو . والمركة إذا انتصر كل من فيها كانت هزلاً
وكانت شيئاً غير المركة

قال أبو الحسن : وقلت لهم : فإذا كان الشيطان سجيناً قد
ربعت به أقاله حتى لهو في سجن من سجن مبالغة في كفه
والتشويق عليه - فكيف يقنّ الناس في أرجاء الأرض
ويوسوس في قلوبهم ، حتى لهو يد بين كل يدين ، وحتى لهو
العين الثالثة لمين كل إنسان ؟

قالوا : إن في روحه النارية قوة تفصل منها وتنتشر في
الأرض ، كشماع الشمس من الشمس بهذه كره نارية مبيّنة
معلقة على الأجسام مرصدة لها ، وتلك كرة نارية حية معلقة
على النفوس مرصدة لها ، وبهذه وتلك عماد الدنيا وأهل الدنيا
قلت : لعلكم أردتم أن تقولوا : « خراب الدنيا وأهل
الدنيا » فقلتم فكان ينبغي أن يجيء بدل القلط

فقال أحدهم : يا أبا الحسن ، خرّق الثوب المسار . جاز هنا

قلت : أعوذ بالله منك ! أفلا تعرف شيئاً يردك عن القلب وأنت دخانٌ بعد ؟

فقهره اللعين وقال : ما أشد غفلتك يا أبا الحسن ، إذ تسأل الشيطان أن يخترع التوبة ! أما لو أن شيئاً يخترع التوبة في الأرض لاخترعها القبر الذي يدفن فيه بعضكم بعضاً كل طرفة عين من الزمن فتُزَلون فيه الميت المسكين قد انقطع من كل شيء ، وتركونه لآثامه ، وحساب آثامه ، والهلاك الأبدى في آثامه ؛ ثم تعودون أنتم لاقتراف هذه الآثام بعينها !

قلت : عليك وعليك أيها اللعين ؛ ولكن ألا يتبدد هذا الدخان إذا ضربته الريح أو انطلق ما تحته ؟

قال : أوه ! لقد أوجعتني كأنما ضربتني بجبل من نار ، إن نبيكم عمره ، ولكنكم أغبياء ، تأخذون كلام نبيكم كأنما هو كلام لا عمل ، وكأنه كلام إنسان في وقته لا كلام النبوة للدهر كله وللحياة كلها . ولهذا غلبت أنا الأنبياء على الناس ، فاني أضع المعاني التي تعمل ، لا الحكمة المتركة لمن يعمل بها ومن لا يعمل

أندري يا أبا الحسن ، لماذا أعجزني أسلافكم الأولون مثل : عمر وأبي بكر ؟ حتى كان إسلامهم من أكبر مصائبهم ، فتركوني زماناً - وأنا الشيطان - أرتاب في أني أنا الشيطان . . . ؟ قلت : لماذا ؟

قال : أراك الآن لم تلعن ، فقلت قائلها إلا إذا ترسخت على

قلت : عليك وعليك من لعنات الله ! قل لماذا ؟ قال : أسألك وبأسر ؟ ولطفيلي ويقتوح ؟ لابد أن

ترسح

قلت : رحمنا الله منك ! قل لماذا ؟

قال : وهذه لعنة في لقطة رحمة . لا ، إلا أن ترسح على أنا إبليس الرجيم !

قلت : فيغني الله عن علمك ؟ لقد ألهمتنيها روح النبي صلى الله عليه وسلم . إن النبوة كانت هي بأعمالها وصفاتها تفسير الألفاظ على أحسن الوجوه وأكملها ، فكان روح النبي صلى الله عليه وسلم لتلك الأرواح كالألم لأبنائها . وقد رأوه لا يفضب لنفسه

وأنظر فإذا هو مسخ شأبه كأنه إنسان في بهيمة قد امتزجاً وطنى منهما شيء على شيء ، أما وجهه ، فأصبح شيء ومنظراً ، تحسبه قد ليس صورة أعماله . . . ونطق فقال : أنا الشيطان !

قلت : فأتلك الخيفة ؟

قال : تلك دنياكم في شهواتها ، وأنا ألتقم قلب الفاسق أو الآثم منكم ، كما ألتقم دودة من هذه الخيفة قلت عليك لعنة الله وعلى الفاسقين والآثمين ، فكيف كنت دخاناً ، ثم انقلبت ناراً ، ثم رجعت قيقحاً ، ثم صرت حمأة ، ثم كنت كلباً على خيفة ؟

قال : لا تلعن الفاسقين والآثمين ؛ فانهم المبدأ الصالحون . بأحد المعنيين ، وأنت وأمثالك عبادة صالحون بالمعنى الآخر ، أليس في الدنيا حياة ووقاحة ؟ فأولئك - يا أبا الحسن - هم وقاحتهم أنا على الله ! أنا معكم في زهدكم حرمان الحرمان ، وفقر الفقر ، ولقد أهلكتموني بؤساً ؛ غير أني معهم لذّة اللذة ، وشهوة الشهوة ، ورفق النسي ، لا تتم لذّة في الأرض ولا تحلو لذائذها وإن كانت حلالاً ، إلا إذا وضعت أنا فيها معنى من معاني أو وقاحة من وقاحتهم ؛ حتى لأجمل الزوجة لزوجها مثل الشمر البليغ إذا استعار لها معنى مني ، وكل ما فسدت به المرأة فهو مجازي واستمارقي لها أجعلها به بليغة . . .

وأنتم يا أبا الحسن تقطعون حياتكم كلها بجاهدون أنتم ساعة واحدة من حياة عبادي ، فانظر - رحمك الله - لئن كانت ساعة من حياتهم هي جهنمكم أنتم ، فكيف تكون جهنم هؤلاء المساكين ؟

إنك رأيتني دخاناً لأنني كذلك أنبث في القلب الأنساني فتمت تحركت فيه حركة الشر كنت كالاختيال لأضرام النار بالنفخ عليها . فمن ثم أكون دخاناً ، فإذا غفل عني صاحب القلب تضرمت في قلبه ناراً تطلب ما يطفئها ؛ ثم يوارق الأثم والمصيبة تهتته فأبرد عن قلبه ، فيكون في قلبه مثل الحرق الذي برد فتأكل موضعه تنقيح ، ثم يختلط قيقح أعماله بجاذبه الترابية الأرضية ، فينقلب هذا المسكين حمأة إنسانية لا تزال تروبو وتنفض كما رأيت

فلم يُخْفِلْ بما أعطت الدنيا وما منعت ؛ وعاش على فقره بكل ذلك كما يعيش المؤمن في الجنة : هذا في قصر من لؤلؤة أو ياقوتة أو زبرجدة ، وذلك في قصر من الحكمة أو من الإيمان أو من العقل

قال الشيطان : فلما أنجزني صلاحاً ورضى وصبراً وقناعة وإيماناً واحتساباً ، وكان رجلاً عالماً قصباً — سَوَّلَتْ لَهُ أَنْ يخرج إلى المسجد ليعظَ الناسَ فينتفعوا به ، ويُصَرِّمَ دينهم ، ويتكلم في نصِّ كلام الله ؛ فَمَقَّدَ المجلسَ ووَغَّظَ ، وانصرفوا وبقى وحده ؛ فجاءت امرأة تسأله عن بعض ما يحتاج إليه النساء في الدين من أمر طيبتهن ؛ وكانت امرأة جَزَلَةً غَضَّةً ، يهترأ أعلاها وأسفلها ، وتعيش قصيرة الخَطْوِ مُشَاكِلَةً كالتضايقة من تحمل أمرار جمالها وأسرار بدنها الجليل ، فبعض مشيتها بَقِظَةً وبعضها نومٌ فارتخاظة اليقظة ؛ ولا يراها الرجل الفحل التام الفحولة إلا رأى الهواءَ نفسه قد أصبح من حولها أنف مما تصيفُ به ريحها العطيرة عطر زيتها وجسمها ، وكان الواعظ قد ترمَّل من أشهر ، وكانت المرأة قد تأملت من سنوات ؛ فلما رآها غَضَّ طرفه عنها ، ولكنها سألته بالفاظها العذبة عن أمور هي من أسرار طيبتها ، وسألته عن طيبتها بالفاظها ؛ فسمع منها مثل صوت البُذور يتكسر بعنه على بعض وتحدثت له وكأنها تحدث فيه ؛ فسمع بأذنه ودمه ؛ ثم كان غَضُّ عينه أقوى لرؤية قلبه وتجمع خواطره . ورأى صوتها يشتهي ؛ وعانقته رائحتها العطرية النفاذة ؛ وأحاطته بجوِّ الفراش ؛ وعادت أنفاسها كأنها وسوسةٌ قبَّل ، وصارت زفرتها كالقيد إذا استجمعت غلباناً ، وطلعت في خياله عُرْيَانَةً كما تطلع للسكران من كأس الحر خورية عريانة ، لها جسمٌ يبدو من اللين والبضاة والنممة كأنه من زبد البحر ؟ قال أبو الحسن : وكنتُ كالنائم لما شعرتُ إلا بصوت كصكِّ الحجر بالحجر ، لا كنتكسر البلور بعنه على بعض ، وسمعتُ شبحي يقول :

أَفَسَقْتُ ... ؟

طنطا

منه

ولا لحظ لنفسه ، وذلك لا يستقيم إلا بالقصد في أمر النفس ، وجعل ناحية الاسراف فيها إسرافاً في العمل لسعادة الناس . وكلما ارتدَّ الانسانُ لنفسه وحفظها ارتدَّ إليك — أيها اللامين — وأقبل على شقاء نفسه ، وكلما عمل لسعادة غيره ابتعد عنك — أيها الرجيم — وأقبل على سعادة نفسه ، وترك الغضب وحظوظ النفس هو الصبر ؛ وصبرُ الأنبياء والصديقين ليس صبراً على شيء بعينه في الحياة ، بل هو الصبرُ على حوادث المعركة ؛ كصبر المسافر ؛ إن كان غريمةً مدة الطريق كلها ، وإلا كان فساداً في القوة ووقع به الخذلان

فهذا الصبر المعتزم الصميم ، الذي يُوطِّن به الرجلُ نفسه أن يكون رجلاً إلى الآخر — هو تعب الدنيا ، ولكنه هو رَوْحُ الجنة مع الانسان في الدنيا . والمؤمن الصابر رجل مُقَفَّلٌ عليه بأقفال اللائكة التي لا يفتحها الشيطان ولا تفتحها مصائب الدنيا . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمنَ يُنْضِي شيطانَه كما يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَه في سفره . » كأنه يقول : لو لم يصبر المسافر دائماً معتزماً مدة سفره كلها لما أنْضَى بَعِيرَه ، ولو لم يصبر المؤمن دائماً معتزماً مدة حياته كلها لما أنْضَى شيطانَه

فصاح الشيطان : أَوْه ، أَوْه ، ولكن قل لي يا أبا الحسن ، ما صَبِرَ رجلٌ مؤمنٌ قوى الإيمان ، قد استطاع بقوة إيمانه أن يُفَيِّقَ من سُكْرِ الْيَغْي ، فتخلَّص من نزوات الشياطين الذهبية الصغيرة التي تسبونها الدنانير ؛ وقد أردته على أن يكذب ، فرأى الإيمان أن يصدق ، وجهدتُ به أن يفضب ، فرأى الحكمة أن يهدأ ؛ وحاولتُ منه أن يطعم ، فرأى الراحة أن يرضى ؛ وسَوَّلْتُ له أن يتخذ ، فرأى الفضيلة ألا يبالى . وأخذ لنفسه من كل شيء في الحياة بما يشقُّ أنه الإيمان والصبر والهدوء والرضى والقناعة ؛ وأحاط نفسه من هذه الأخلاق بالسعادة القلبية واجتزأ بها ؛ وقصَّرَ نظره على الحقيقة ، ووجد الجمال في نفسه الطيبة الصافية ، وأجرى ما يؤله وما يسره جرياً واحداً ، ونظر إلى المعركة كلها كأنه يومٌ واحد يَرَقُبُ مغرب شمسهِ ؛ وأخذ من إرادته قوة أنسته مالم تعطيه الدنيا ،

صفحات من الدبلوماسية الإسلامية

السفارات الخلافية

والسلطانية

وعلائق الاسلام والنصرانية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

منذ نحو عام عرضت في الرسالة الى موضوع السفارات النبوية ؛ وتبادل السفارات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، سواء من الاسلام الى الأمم النصرانية ، أو من هذه الى الدول الاسلامية ، من الموضوعات الهامة التي تشوق بتفاصيلها وما تلقيه من ضوء على علائق الشرق والغرب في عصور لم يكن الاسلام فيها سيد الشرق فقط ، بل كان يساهم أيضاً بنصيب قوى في سيادة الغرب ذاته . وقد كان لهذه السفارات رسوم وقواعد تتفق مع صولة الاسلام وتلائم روح العصر ، وكان لها في بعض الأحيان أثر كبير في توجيه سياسة الاسلام نحو النصرانية ، أو سياسة النصرانية نحو الاسلام . وقد كانت ربح هذه السفارات تتجه بالأخص من الغرب الى الشرق في عصور القوة والمجد . ذلك لأنها كانت في الغالب ترمى الى التماس السلام والمهادنة أو تحقيق بعض النفع والمفانم من الاسلام القوى الظاهر ، ولكنها كانت في عصور الضعف والاضمحلال تتجه بالأخص من أمم الشرق الى أمم المغرب التي تتبوأ مقام الزعامة والنفوذ ، وتعمل لتوطيد سيادتها بالضرب والتفريق بين الدول الاسلامية المتنازعة ، كما كانت تفعل الدولة البيزنطية منذ انحلال الخلافة العباسية وتمزق سيادتها بين مختلف الدول والأمم التي قامت على أنقاضها ، وكما كانت تفعل اسبانيا النصرانية منذ انهيارت الخلافة الأموية القوية ، وانقسمت الأندلس الى إمارات الطوائف ، على أن هذه القاعدة لم تكن عامة ، وإعما كانت ظاهرة ملحوظة فقط ، فكثيراً ما كانت تعقد للمهادنة وتبادل السفارات بين الدول الاسلامية القوية والدول النصرانية القوية تنظيماً للعلائق والمصالح المشتركة بينهما

وسنحاول أن نعرض في هذا الفصل الى طائفة من هذه السفارات الشهيرة التي ترد أخبارها أشتاتاً في تواريخ الشرق والغرب ، وسنرى فيها من أوجه التماثل أحياناً ، ومن أوجه التباين أحياناً أخرى ، ما يفسر لنا بعض العوامل التي كانت في تلك العصور محور العلائق الدبلوماسية بين أمم الاسلام وأمم النصرانية ، ومبعث التجاذب السياسي بينهما . كانت الدولة الأموية دولة الفتح والانشاء ، فلم يتسع وقتها لتنظيم العلائق الدبلوماسية السلية ؛ وكانت تقف طوال عهدها من جارتها الكبرى - الدولة الرومانية الشرقية - موقف الخصومة والتربص ، فلا تقف في هذا العصر على كثير من أخبار السفارات المتبادلة بين الدولتين ؛ ولكننا نجد بعد حوادث حصار قسطنطينية الأول وإخفاق الخلافة الأموية في مشروعها لاقتحام الدولة الشرقية (٥٨ هـ - ٦٧٨ م) سفراء الامبراطور قسطنطين الرابع يستقبلون في دمشق بحفاوة ليعقدوا مع الخليفة الأموي (معاوية) معاهدة الصلح التي ارتضى بها معاوية أن يؤدي الى الدولة الشرقية جزية سنوية متنوعة كانت على ضآلتها عنوان المهادنة والمسالمة من جانب الخلافة . وفي خلافة سليمان بن عبد الملك تردد على دمشق رسل الدولة الشرقية ليقفوا على أمر الأهبة المائلة التي تتخذها الخلافة للسير الى قسطنطينية ومحاولة اقتحامها ككرة أخرى ، وعاد سفير الدولة الشرقية الى بلاط قسطنطينية يحمل عن أهبة الخلافة أروع الأخبار والروايات ولما قامت الدولة العباسية وتوطدت أركانها ، وقامت في نفس الوقت دولة أموية جديدة في الأندلس ، كانت بغداد في الشرق ، وقرطبة في المغرب ، كلتاها قطباً للتجاذب السياسي بين الاسلام والنصرانية . وكانت مملكة الفرنج القوية قد قامت يومئذ في الطرف الآخر من أوربا لتتزعزع أمم الغرب الى جانب الدولة الرومانية الشرقية ؛ فكان ذلك عاملاً جديداً في إذكاء التجاذب السياسي بين الشرق والغرب ؛ ومنذ خلافة المنصور ثاني خلفاء الدولة العباسية نرى مملكة الفرنج تحاول أن تأخذ بنصيبها في عقد الصلات السياسية مع زعيمة الاسلام في الشرق ، وفي اقامة التوازن السياسي في العالم الجديد ، ونرى ملك الفرنج يبين يمشي رسله الى عاصمة الاسلام الجديدة (بغداد) في سفارة الى المنصور . ويضع مؤرخو الفرنج تاريخ هذه السفارة في سنة

وتستطرد الرواية الفرنجية : فذكر أن هذه العلاقات الودية بين بغداد وملكة الفرنج ، استمرت بعد وفاة الرشيد وشارلمان ؛ وأن المأمون ولد الرشيد بعث إلى « لويس » ولد شارلمان وملك الفرنج من بعده سفارة أخرى اتأكيد المودة والصداقة بينهما ؛ وتشير الرواية الفرنجية في ذلك الصدد إلى ما كان لنفوذ الرشيد قبل وفاته من التأثير في سياسة خوارج البحر المسلمين وإحجامهم عن مهاجمة الشواطئ الفرنجية والرومانية ، وإلى ما كتبه الباباليون الثالث إلى شارلمان بعد وفاة الرشيد من أنه إذا كان خوارج البحر المسلمين لا يحترمون بعد شواطئ الأمباطورية الفرنجية ، فذلك لأن نفوذ الخليفة في نفوسهم قد ذهب بعد وفاته

ونستطيع أن نرجع هذا التقرب بين بغداد وملكة الفرنج إلى بواث سياسية لها قيمتها ؛ ذلك أن الدولة العباسية الفتية ما كادت تقوم على أنقاض الدولة الأموية في المشرق ، حتى بعثت الدولة الأموية في الأندلس من جديد على يد عبد الرحمن الأموي (الداخل) ، وأخذت في الاستقرار والتوطد ؛ وكان قيام هذه الدولة الجديدة في إسبانيا يثير في الخلافة العباسية ومملكة الفرنج ممّا جزعاً ومخاوف جديدة ؛ أما الخلافة العباسية فلأنها كانت تعتقد أنها قد سحقته الدولة الأموية نهائياً واجتثت أصولها وفروعها فلم تقوم لها قائمة بعد في المشرق أو المغرب ؛ فلما استولى عبد الرحمن الأموي على الأندلس وأقام به ملك أسرته من جديد ، أخذت الدولة العباسية تخشى بحق أن تنازعها هذه الدولة الخليفة زعامة الإسلام ، أو أن تبلغ من القوة مبلغاً يحملها على التفكير في مقارعتها ومناوئتها والاعارة على أملاكها الأفريقية ؛ وأما مملكة الفرنج فقد كانت تخشى اجتماع كفة الأندلس بعد تفرقها مدى حين ، وهو تفرق مهد للفرنج استعادة الأراضي الإسلامية في غاليس وافتتاح ثغر أربونة آخر معقل للإسلام في فرنسا ؛ وقيام الدولة الإسلامية الجديدة في الأندلس موحدة الكلمة موطدة الدعائم يعرض مملكة الفرنج إلى خطر النزوات الإسلامية كره أخرى ؛ فكانت مملكة الفرنج ترقب قيام هذه الدولة بجزع ، وتلتبس الوسائل اسحقها قبل أن تستفحل وتندو خطراً داهماً عليها ؛ ومن ثم كانت سياسة الفرنج في تشجيع جميع الزعماء الخوارج على عبد الرحمن الأموي ، والعمل على إضرام نار الحرب

٢٧٦٥ (١٤٨ هـ) ، وتقول لنا الرواية إن السفراء الفرنجيين لبثوا مدى حين في بغداد وعادوا بعد ثلاثة أعوام إلى فرنسا يصحبهم رجل أو سفراء من قبل الخليفة إلى ملك الفرنج ، وزلوا بفرح مرسليليا ؛ فاستقبل ملك الفرنج سفراء الخليفة أحسن استقبال ، ودعاهم إلى تمضية الشتاء في مدينة مزر التي كانت يومئذ منزل البلاط الفرنجي ، ثم دعاهم للتزّه والأقامة مدى حين في قصر « سلس » على ضفاف اللوار ؛ ثم عادوا بعد ذلك إلى بغداد بطريق مرسليليا أيضاً مثقلين بالتحف والمدايا . واستمرت هذه الصلاة السياسية بين الخلافة العباسية وملكة الفرنج عصراً ؛ وزادت أواصرها في عصر الرشيد قوة وتوثقاً . وهنا نعطف بإيجاز على ذكر تلك السفارات الشهيرة التي تبادلها الرشيد ، وكارل الأكبر أو شارلمان امبراطور الفرنج ولدين ، والتي تفرد بذكرها الروايات الفرنجية أيضاً ؛ فان هذه الروايات تقول لنا إن شارلمان جرياً على سياسة أبيه ، أرسل إلى الرشيد سفارة على رأسها يهودى يدعى اسحاق ليؤكد بينهما الصلات الودية ، ويسعى لدى الخليفة في نيل بعض الامتيازات الخاصة بالنصارى والأماكن النصرانية المقدسة ، فأكرم الرشيد وفاة السفراء الفرنج وردم إلى شارلمان هدية نفخة منها فيل وخيمة عربية وساعة مائية وحرائر وعطور شرقية وغيرها ، وبعث إلى ملك الفرنج سفراءه بشجائهم وتأكيد صداقته . وقد مر شارلمان بنتائج سفارته الأولى ، فأوفد إلى الرشيد سفارة أخرى على رأسها ميمونه اسحاق أيضاً ؛ وتبالغ الرواية الفرنجية في نتائج هذه المراسلات بين الرشيد وشارلمان ، فتقول إن الرشيد أرسل إلى ملك الفرنج مفاتيح الأماكن النصرانية المقدسة ، ومنحه حق رعايتها وحمايتها . وقد وقعت هذه السفارات على ما يظهر في أوائل عهد الرشيد بين سنتي ٧٨٦ و ٧٩٠ (١٧١ - ١٧٦ هـ) ؛ ولكن الرواية الفرنجية تؤرخ سفارة الخليفة إلى شارلمان بسنة ٨٠٠ هـ ، ولعلها رد الرشيد على السفارة الفرنجية الثانية . ويختلف البحث الحديث في أمر هذه السفارات والمكاتبات بين الرشيد وشارلمان ، فيؤيد البعض صحتها وينكرها البعض الآخر ، أما نحن فنخرج صحتها (١)

(١) نجيل الفاري . إلى البحث الذي كتبناه في هذا الموضوع في كتابنا « مواقف سامية في تاريخ الإسلام » ص ١٣١ - ١٣٧ والمصادر المذكورة فيه - وراجع أيضاً :

Reinaud : Invasion des sarrasins en France p. 92 & 115 - 117

الأهلية في الأندلس ؟ وكان اقتحام شارلمان للبرنية بتحريض الزعماء الخوارج ليحاول اقتناح شمال الأندلس ؛ ومن ثم كانت هذه العلاقات والمراسلات الدبلوماسية التي تبادلها الخلافة العباسية مع مملكة الفرنج ، ولم تكن بالاريب بعيدة عن الفكرة المشتركة في التعاون على سحق الدولة الأموية الجديدة في الأندلس

وكانت ثمة فكرة مماثلة تحمل الدولة الأموية في الأندلس والدولة البيزنطية خصيعة الدولة العباسية ومناوئتها في الشرق على عقد التفاهم والصلات الودية ؛ فكانت بين أمراء بني أمية وقيصرية قسطنطينية مراسلات وسفارات سياسية هامة . ففي سنة ٨٣٦ م (٢٢٥ هـ) بعث الإمبراطور ثيوفيلوس إلى عبد الرحمن بن الحكم أمير الأندلس سفراء بهدية نفخة ورسالة يدعوهم فيها إلى التحالف ، ويرغبه في ملك أجداده بالشرق ؛ وكانت هذه المحاولة الدبلوماسية من جانب قيصر قسطنطينية على أثر اضطراب الخصومة والحرب بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية وبعث المأمون ثم المعتصم في أراضيها . فرد عبد الرحمن ابن الحكم على القيصر بهدية نفخة وبعث إليه سفيره يحيى بن الفزال ، وهو من كبار الدولة وغفل الشعراء فأحكم بينهما الصلة والتحالف . على أن علاقة الإمبراطور بساحب الأندلس لم تتمد للرسالة والمجاملة ، لأن خلفاء عبد الرحمن الداخل حافظوا على سياسته التي رسمها من الامتناع بالجزيرة والاقتصار على توطيد ملك بني أمية فيها ، حتى عمد الناصر إلى تغيير هذه السياسة والتدخل في شئون المغرب نظروف وحوادث عرضت يومئذ

ونعود إلى علائق الدولتين العباسية والبيزنطية ، تاج العلاقات بين الاسلام والنصرانية في تلك العصور ؛ ففي أواخر القرن الثامن كان على عرش قسطنطينية امرأة وافرة الذكاء والعزم هي الإمبراطورة إيريني زوج الإمبراطور ليون الرابع ، وكانت وصية على ولدها قسطنطين أثناء طفولته ؛ ولكنه لما كبر وحاول أن يقبض على زمام السلطة ، نأوته وقاومته حتى ظفرت به ، وزجته إلى ظلام السجن بعد أن سملت عيناه بأمرها ؛ فانهز المسلمون فرصة هذه الاضطرابات وغزوا آسيا الصغرى مراراً حتى اقتربوا من البوسفور ، وقاد هارون (الرشيد) وهو يومئذ ولي عهد أبيه النهدي بنفسه معظم هذه الحملات ، فاضطرت إيريني إلى التماس الصلح ، وبعثت رسلها إلى هارون ، وهو بمسكر يجيشه على

مقربة من البوسفور ، تطلب الصلح والمهادنة ؛ فأجابها الرشيد إلى ما طلبت ، وعقدت بين الفريقين معاهدة تعهدت إيريني بمقتضاها أن تدفع إلى الخلافة جزية سنوية مقدارها سبعون ألف دينار ، وتبادل الرشيد والإمبراطورة بهذه المناسبة بعض الهدايا والتحف الملوكة (٧٨٢ م - ١٦٦ هـ) ، ولما تولى الرشيد الخلافة بعد أبيه ، كانت إيريني قد خلعت وجلس على عرش قسطنطينية نيكيفروس (ويسميه العرب نيقفور) كبير الخزائن ؛ فما كاد يجلس على العرش حتى يادر باعلان الخصومة على الخلافة وبطلان معاهدة الصلح ، ورفض أداء الجزية والمطالبة بما أدى منها ؛ وتقلل البنا الرواية الغربية صورة الانذار الذي وجهه نيكيفروس على يد سفرائه إلى الرشيد وفيه يخاطب الرشيد بما يأتي : « من تقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب ، أما بعد فإن الملكة التي كانت قبل أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق ، غفلت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أضعافه اليها ، لكن ذلك لضعف النساء وحققهن ، فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل لك من أموالها وافقد نفسك بما تقع به المصادرة لك ، وإلا فالسيف بيننا » ؛ وألقى سفراء الروم أمام عرش الرشيد حزمة من السيوف إشارة باعلان الحرب ، فغضب الرشيد لهذه الجراءة أبعاض ؛ وكتب بنفسه على ظهر كتاب ملك الروم ما يأتي : « من هارون أمير المؤمنين إلى تقفور كلب الروم ؛ أما بعد فقد فهمت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه والسلام » (١) ، وبادر الرشيد إلى غزوا آسيا الصغرى على رأس جيش ضخم ، فاجتاحها حتى هزلية (٨٠٦ م) فاضطرب نيكيفروس إلى طلب الصلح ، وأرسل إلى الرشيد سفارة على رأسها أسقف سينادا ، وعقدت بين الفريقين معاهدة جديدة ، يتعهد فيها القيصر بإصلاح الحصون المخربة ، وبأن يدفع جزية سنوية قدرها ثلاثون ألف دينار ، وأن يدفع عن نفسه ثلاث قطع ذهبية من نوع خاص وثلاث أخرى عن ولده عنواناً لخضوعهما لأمير المؤمنين

(لبحث بقية)

محمد عبد الله عتاه
الحامى

(١) وتورد الرواية الغربية نقوصاً أخرى لهذين الكتائب — راجع ابن الأثير ج ٦ ص ٦١ — وصبح الأعشى ج ٦ ص ٤٥٧ — وتتل الرواية البيزنطية هذه الرواية ، ولكنها لا تؤيدها من عندها — راجع : Finlay : Byzantine Empire Ch. II — ١

منازل الفضل

١ - قصر الوالدة

للأستاذ محمد محمود جلال

يوم أراد الله أن أفرغ من الدراسة الابتدائية ، وقد أتممتها في كنف الجمعية الخيرية الإسلامية في مدينتها بني حار ، أتجهت أنظارنا إلى القاهرة عاصمة البلاد تطلعا لأكمال الدرس في معاهدها الثانوية

لم يكن من ذلك بد ، وقد قضت سياسة دنلوب ، بتركيز الدراسة الثانوية بالمعامة ، وحرمان مديريات القطر من الخطوة الثانية للتعليم فضلا عما أفسد من برامج وشوء من خططه كثر التردد على القاهرة ، بين تقديم الطلب ، والاستعداد للكشف الطبي ، والحرس على الظفر بمكان ، إذ كان نطاق المدارس ضيقا ومحاطا بكثير من القيود تمشيا مع تلك السياسة كان ذلك في أواخر سنة ١٩١١ أي من نحو ربيع قرن فاذا كان يوم الجمعة ، وذهبنا إلى ملعب الكرة بالحلمية الجديدة صرنا بشارع البرموني . هناك يستوقف النظر تجمع كثير من النسوة والصغار يختلطن إلى دار في مواجهة « زقاق » صغير ينتهي بها فتشيره وتحميه ميدانا فسيحا للرحمة والاحسان . . . كانت تلك الدار « مبرة محمد علي » تجدها فقيرات الأمهات وفقراء الأولاد رعاية عالية ، وعطفا كريما : يلقين فيها يد الطب تأسو ، ويد البر تواسي ، تستنقذ اليدين بفضل الله أناسي من خلقه من برائن الأمراض وآلام الحياة

فاذا سألت لمن هذا السلم ؟ ومن يقوم على هذا البر ؟ ومن ينفذ تلك الشجرة المباركة / أجابك المناوون الداعون هي : « الوالدة » أطال الله بقاءها

« الوالدة » : ! وأى اسم في الوجود أولى بهذه الماني من هذا الاسم الكريم ؟ وهل في الدنيا أكثر عطفا من الوالدة ! ! أليس بين الاسم والفعل خير تناسق وأوثق صلة ؟ إنا نرى اليوم في مصر كثيرا من مظاهر البر ، وأما كن للملاج وافية الأعداد ، ولكننا حين نذكرها كان ، وحين أكتب

اليوم ، إنما ننظر وأكتب عما كان منذ ربع قرن . كانت « مبرة محمد علي » لا تقل في عين الفقير عما يرى اليوم في عجيبة « الراديو » والطيران

ولما أعلنت الحرب بين إيطاليا والدولة العلية ، وزلت جيوش الأولى شاطئ طرابلس ، تحمس المصريون ذاكرين مام فيه وما بهم من ويلات الاحتلال الإنجليزي ، يأسون جراح المجاهدين بفضل من المال وثى من العون ، رأينا « الوالدة » تتقدم الصفوف وخلفها الفضليات من نساء مصر يقمن بواجب الاغاثة ، ويجمعن التبرعات ، يوفين ناعلين لله ، وما في ذمتن للحق والأخلاق

هذه « سوق الاحسان » نافقة ترأسها « الوالدة » ، وتلك دعوة للتشاور بين سيدات مصر في « قصر الوالدة » ، وفي الصباح تتحلى صحف مصر بفاتحة التبرعات مصدرة باسم « الوالدة »

وفي الحلمية الجديدة بناء جميل ، تسمع به حركة ولا تسمع فيه لغوا ، يجمع كثيرين من أبناء البلاد ، يعملون الصناعة ، ينقل إليك الأثير نغمت آلاتهم توقع الأنشودة في مدعيم صناعة البلاد فاذا خطوت إلى شارع سليمان باشا ، راعتك مخزن قاخو ، فخاره وروعته قطع الأثاث المتقن برعت فيه أيدي المصريين والمبقرية الفنية الموروثة ، قبينا نرى المخازن والمحال تطل وتندق إعلانا عما بها إذا بذلك المرض يحل المكان ويملن منه

والمهد بذلك الحى أنه « أفرنجي » في مساكنه ومقاهيه ومخازنه ، وإنك لمفترض إذن أن هذا المكان « لكريجر » أو « لجانسان » ، أو غيرها من تجار الأثاث الثمين . ولكنه قطعة من مدرسة الحلمية وقفت كالراووق لا تبق للعرض إلا ماله قيمة حقيقية ، تملن في صدق عن حقيقة البلاد وأبناء البلاد وإنتاج البلاد ، في الحى الذى لا يقطنه إلا الأوروبيون

وكذلك كانت « الوالدة » شغل السمع والبصر

التحقت بالمدرسة السعيدية ، أجتاز من أجلها جسر قصر

النيل في اليوم عشرين ، فأمر بقصر « الوالدة » مرتين ، ومن العجب أن يزداد المرء في كل نظرة شغفا بالقصر ، وألا يكون لتكرار رؤيته إلا استعادة الإعجاب وامتلاء العين من محاسنه ، على نقيض ما يعرف الإنسان عادة من ملل إذا تكررت النظر ، ولو في زهرة

والمرحة — يوم العظة والاعتبار ، يوم كشف لي فيه عن « مبرة محمد علي » سنة ١٩١١ ، ثم رأيت فيه ختام الآية ، وكيف عبث أطاع الدنيا بالتراث المجيد

ومنذ حل الأجل ، وبدأ المكلف بالبيع من الخبراء ينفذ اعلانه أقصرت عن الطريق وتخلت عن عاذني ، وكهرت أن أرى كعبة العاقين ومنار الفضل متردحة المسالك بالتفرجين والعابثين علم أبي — عليه رحمة الله — بالبيع فطلب اليّ أن أزور القصر وأشتري أماناً بنفسنا لفرقة المائدة ، وبقي بالقاهرة يومين ثم سافر الى الريف لبعض شأنه

وحين عودته سألتني هل نفذت رغبته ؟ وهل اقتنيت شيئاً ؟ لقد كنت أهابه على رعايته لي ، وما أظنني خالفت له مدى حياته رأياً ، فلما سئلت لم أعدل بالحق شيئاً ، قلت : لقد كبر عليّ يا أبي — وقد أجمعت بالقصر فتى ، وقدوت أثر صاحبته وأثره في عالم الخير والعلم لهذه البلاد شاباً — كبر عليّ أن تشترك قدمائي في امتهانه فلئن لم يابه منا ريحه ذوو الشأن ، ولئن تدفقت الجموع تظفر بما يقتني ، فاني سميد بأن أقتني تذكاره ، وأن أقي له بشيء من احترام الذكري ، ثم والأثاث موفور في مخازنه ، وجيده اليوم مستبدل الثمن

سر أبي بنظرتي ، وقال علي الفور : « إنك أشبه بجذك ، فقد ذهب مرة مع فريق من صحبه لزيارة الخديو إسماعيل بالأستانة ، وكانوا في جملة من كبراء البلاد يطالبون بتدخل الباب العالي لجلاء الاحتلال — والدولة في ذلك الوقت صاحبة السيادة — فلما جلسوا قدمت اليهم السجائر ، وطاف الخدم يشعلونها للضيوف الكرام ، أبي جذك أن يشعل سيجارته ، وكان الخديو إسماعيل قد كف بصره

فلما سئل من بعض رفاقه بعد الانصراف من الزيارة ، قال : « إني تقدمت ظلمه ، ومدحت إصلاحه — وهو خديوي — ولم أدخن أمامه بصيراً ، وإني لأكره أن أدخن — وهو مكفوف البصر — احتراماً لغيرة مآله ، وصوناً لذكري عزه الأولى . قلت : الحمد لله ، لقد أفدت وفاء وعلماً أين منه اقتناء حطام مريع البلى مهما دام ، وقت بما يرضى ضميري ولو في أضيق مجال

كان « قصر الدوبارة » أحب أحياء القاهرة إليّ . فإذا أردت ترويحاً عن نفسي سرت على شاطئ النيل حذاءه ، وإذا شعرت بضيق طلبت تفريجه في سروبعات المساء بين مفاذيه ، وإذا جلت بالجزيرة وقفت على النيل من الشاطئ الغربي أنظر اليه ، وكثيراً ما طالمت المسير من دروسي في تلك الناحية فساغ فهمها وانجلي الكرب

بل إني تخيت أن يكون لي فيه سكن ، وأن أصبح من قاطنيه ، فلما استقر بنا المقام بشارع « الخوياتي » حمدت الله وقلت هذه خطوة في القرب منه ، وقد أوشكت على الخروج من سلك الطلبة أدركنا من الحياة أكثر ، وفهمنا بتقدم السن وتحول الأيام ما لم نكن ندرك من قبل ، فاذا بي أبدأ اليوم منزهاً في البكور بقصر الدوبارة ، وأختم المساء بجولة في ربوعه ، إذا أحسست الغدنى من قصر « المميد » لغيت الفرجة من « قصر والدة » كما يذهب عنك معرض الصنائع بشارع سليمان باشا ، غصة التسلط الأجنبي في ميداني الصناعة والتجارة

وفي سنة ١٩٣٢ أراد الله أن أظفر بشيء من الأمان ، فسكننا داراً بالحي ذاته ، وبلغ من عرفاني لجليل الله ، وفيض السرور على قلبي أن قيدت في جريدتي الخاصة هذا الانتقال بما يستحقه فلما أن كان يوم جمعة ، ومرت بالقصر في طريقى الى مسجد « الشيخ بركات » هالتي اعلانات تلصق على الجدر الأنيقة ، يضمها سبيان دون اكتراث ، فأخذت ووقفت أقرأ ، الله أكبر ، هذه اعلانات عن بيع أثاث القصر !!!

لك الله يادار ! كنت مهبط رحمة ، فرفقت بك « والدة » علم البر ، وكنت منزل الفضل فدعوت للعالم ، وقت بإنشاء مساهمة وتغويلها ، كنت آية الفن من الطلاء الخارجى والباب الكبير الجميل الى الأثاث الداخلى الفاخر ، وهما أنت اليوم يعبث بجذرك صبية وقد كان يهاب المرور بها كبار ، وبياع الأثاث ، فتنباح من الشارين الدار . ولم ذلك ؟ وفيه السخرية والتفريط فيك ووارثوك في نعمة وبسطة من العيش ؟! وكيف هنت وأنت مصدر العزة لبيوتات طاهرة ، وكنت الثوث والابقاء لدور وقصور

وكذلك أصبح يوم الجمعة عندي — وهو يوم الجمع

« روز »

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

كان الغلام قد خيم بعد غيوب الشمس ، وذهبت معارف الأرض ، وانتقل كل محسد الى عالم الأشباح الغامضة ، ونسربت الألوان المختلفة في السواد الذي غمرها ، وبحول الجو من طلاقة الاعتدال وطيبه الى البرد ، كمادته في هذه المناطق الصحراوية ، فتحول أهل البيت الى الحجرات طلباً للدفء ، أو اتقاء لما يجبر اليه التمرض للحر ، وكان البواب النوبي يتمشى في الحديقة بعد أن خلت من المتزهين وفي يده مسبحة الطويلة التي لا تفارقه ، نفى على عنقه كالنقد إذا لم تكن حباتها بين أصابعه ، وكان قد وصل الى آخر المر ، ودار ليعود ، فقال له حوض الأذريون — أو هكذا خيل اليه — :

« هتش ! »

فنظر مبهوراً الى هذا الزهر الأصفر ذي الخمل الأسود ، ونعجب من نطقه ، فلولا فرط الدهشة للاذ بالفرار ، فقد كان من المؤمنين بالمفاريت وركوبها الناس واتخاذها أشكالاً وصوراً

واليوم أغلقت أبواب القصر ، فلا حاجب ولا قاصد ، واليوم تمر بقاعة (يورت) الأمريكي على قرب منه فترى رتل السيارات يزحم الطريق ، جاءت بأصحابها يستمعون الى ما يلقى في العلم والتقن والأدب ، بينا القصر العظيم ، المقر السابق للسابقة بين الحسين وأركان العلم يكاد يطمس سنا طلائه نسيج المناكب لا يرتفع فيه صوت بحديث ولا علم ولا فن

أليس « قصر الوالدة » أولى مكان بنور العلم والأدب والفن ؟ أنه أولاها ، وإنه أرحب الأمكنة للفضل منذ نشأته

فهل نرى في ورثته من الأمراء في القريب ما يبيده الى مكاته ويبيد اليه روح الأنس بخير ما خلق الله للانسان فيكون ذلك استمراراً لروحه ، وأنسا لروح سكنت الخلد — هي روح

« الوالدة » . . .

محمد محمود مهول
الحاصل

شئ ، وتقمصها أجسام الحيوان ، ولم يكن سيداً في التصور عنده أن تطلع من أحواض الزهر

ومنعه الدهشة أن يجيب بشئ . . . وأى جواب لثل هذا النداء سوى الالتفات الى مصدر الصوت ؟ ولا مصدر له يملحه سوى هذا الحوض

وعاد الصوت الخفي يقول :

« هتش ! »

ولكنه لم يصدر في هذه المرة عن الحوض ، بل انتقل الى ما وراء الزرع الممرش على السور الحديدى ، وكفى بهذا التحول سبباً للعجب ، فما يمكن أن يجي الصوت من الأمام مرة ، ومن الخلف مرة إلا إذا كان صاحبه عفرتاً من الجن ، فانطلق البواب بعدو كالنمعة الى حيث يرجو أن يجد أنيساً يذهب عنه الخوف ومخطط المفريت لما رأى فريسته تفلت من يده ، وتخلص من ألفاف الشجر التشجئة تخلصاً لا يعود بحسن السمعة وطيب الأحذوة على الجن قومه ، ولا يشهد لهم بالبراعة والحذق ؛ فلما صار في المر أخذ ينفخ من الجهد وينفض التراب عن ثيابه ، ويلعن البرابرة وجبنهم . ولما أوسمهم لعتاً ، وشق قلبه مما يجد عليهم تحول الى نفسه ، ولم يدخل عليها بحظ واقف من التعنيف والتقريع على ما كلفته سخافته من الزحف وراء الشجر الأشيب من تلويث الثياب والتعرض للحشرات ، وأحسن — حين ذكر الحشرات — كأن بعضها — جيشاً كاملاً منها — يسير على ظهره تحت ثيابه

وفي هذه اللحظة ، وقيل أن يتم ما بدأه من إبداء الرأي في نفسه ويصارعها به على أكل وجهه ، سمع من الشرفة صوتاً بناديه باسمه ، فكان من أثر المفاجأة أن رد : « نعم » بصوت عال ، ولم يكده ينطق بهذه الكلمة المفردة حتى أدركته الندامة وعاد مسخطة فمظلم على نفسه ، فلما استطاع أن يجرد لها أمامه شخصاً تقتله بلا محرج ، ولم يسه بعد أن وشى بنفسه إلا أن يحشى الى حيث دعى فأجاب ، وكان الله في عونته حين يدعو الفضول الى السؤال !

وفي هذه اللحظة كانت « روز » - كلبة البيت - قد شبت

وإنما حرك ساقه حركة الرفس ، فلم تصبها رجله ، فقد كان يريد المعنى لا الفعل ؛ ولكن « روز » كانت كلبة حرة تكفيها الإشارة ، ففضبت جداً لكرامتها ، ووثبت وثبة مكنت أسنانها الحادة من طرف السترة ففرزتها فيها وجذبها بكل ما فيها من قوة ، فانهارت الظهارة ، وتكشفت عن البطانة ، وكانت لا تزال فائرة النفس ، فهمت بوثبة أخرى ، ولكن فتاة من أهل البيت دخلت في هذه اللحظة ، فصاحت بها :

« روز . . . روز . . . »

فالتفت « روز » على الصوت ، وأدركت بذكائها الكلي أن لا رجاء لها بعد ذلك في مواصلة الكرّ والفرّ ، فذست ذيلها بين تخذيها واختفت وقالت الفتاة لصاحبتها :

« آسفة جداً . . . »

فنظر صاحبنا إليها مقطباً ، ثم صوب عينه إلى سترته ، وتناول الطرف المهمل يمينه ، فلامه « وشمر برغبة جاحدة في أن ينقص تعداد الفطر المصري واحدة ، غير أنه استطاع بجهد أن يكبح نفسه ، فما يليق أن يكون كالكلبة حماقة ، ولا سيما في حضرة سيدة وقال :

« لا بأس ! لا بأس ! أعني لا شيء . . . هي غلطى ، وإن كنت لا أعرف كيف أسأت إليها . . . هل اسمها روز ؟ »

قالت الفتاة : « نعم . . . روز . . . اسم جميل ، أليس كذلك ؟ »

قال : « ولكن الفعل غير جميل . . . والبذلة جديدة قبجها الله . . . أعني الكلبة لا البذلة . . . معذرة ! . . . على كل حال يجب أن أرحل الآن ، فما أستطيع البقاء بهذه الثياب المذوقة . . . أستودعك الله ! . . . »

وهكذا مضت « روز » تباي . . . ومن أجل هذا صرّت أكره الكلاب بأبواعها ، من مجازية وحقيقية ، ولا أطمئن إليها ، ولا آمن غدرها ، ، ولى الحق . أليس كذلك ؟

ابراهيم عبد القادر المازني

من تفتيشه والاحاطة بمدخله ومخارجه ، واختيار الكراسي والبحث عما عسى أن يكون تحتها ، وما لعله مخبأ وراء الستائر ، وحدثها نفسها بالخروج إلى الحديقة لمل فيها قطعة ، أو عظمة تتسلى بها ، فقد كانت « روز » طالبة لهو برى ، وسيان عندها أن يكون اللهو به حيواناً مثلها أو جاداً ، ولكن الباب كان مغلقاً اتقاء لتيارات الهواء ، ولو لم يكن في وسع « روز » أن تفتحه بغير معونة من الانسان ، فوقفت أمامه . أو لصقه . وجعلت تحك أنفها فيه منتظرة أن يدخل داخل أو يخرج خارج وسرعان ما استجاب الله دعاءها وحقق رجاءها ، فقد دفع صاحبنا الباب ودخل وهو ينفخ ، ولم يكن يدري أن « روز » وراءه وأن أنفها أصابته منه ضربة قوية ، أدارت رأسها وآلتها وأخرجتها عن طورها . وكانت « روز » كلبة رقيقة الاحساس لينة المريقة ، وقد ألفت أن يداعب الناس - رجالاً ونساء وأطفالاً - واعتادت إذا مسها أذى غير مقصود ، أن تسرع المسمى إلى ملاطفتها والاعتذار إليها ، ولذلك أدهشها أن ترى صاحبنا يضربها بالباب ويكاد يبطط لها أنفها الجميل ، وبعضى كأنما لم يحدث شيء على الرغم من الصرخة المألوية التي أطلقتها من الألم ، وهاجها هذا السلوك فأنطلقت تجرى حتى صارت أمامه ونبحته نبحتين كأنما تقول له :

« لحظة من فضلك ! لحظة واحدة ، إذا سمحت ! »

فقال صاحبنا بمفومة : « اذهبي عني - فليست أحب الكلاب ! »

فقال « روز » :

« صحيح ! أهو ذاك ؟ ومن تظن نفسك أيها الخلوف القذر حتى تضرب فتاة مثلى على أنفها ؟ »

فصوّر صاحبنا بيديه مرة أخرى لبصرهما ، ولكنها ألحت عليه بالنباح قائلة :

« إن أمثالك في الدنيا هم الذين يحدثون الثورات والفن والمزاهر ، وما أعلن بك إلا أنك من الملاك الجشعين الذين يظلمون الفلاحين العاملين في أرضهم ، ويلقون بهم في أحضان المهيجين والبلاشفة . . . »

فضاق صدر صاحبنا ، ورفسها برجله . ولم يرفسها في الحقيقة



لازارو اسيلزاني

الذي لا يحدّق التجربة ولا يدرك مبلغ الألم الذي تأتيه يده . كان يُهرَم بالطبيعة ويهوى الأشياء الحية ، وبدلاً من أن يُبزم والده بكثرة السؤال عنها ، كان يتحننها بنفسه ، فينزع عن هذه رجلها ، وعن هذه جناحها ، ثم يحاول أن يُشبهها حيث كانا . كان يحب أن يعرف كيف تعمل الأشياء ، ولم يكن ياباً كثيراً بأشكالها وظواهرها

وخاصم أهله كأميل «لوفن» في تقرير ما يدرس من العلوم ، وجاهدتم كثيراً من أجل دراسة المكروب . وكان أبوه محامياً ، فبذل مجهوداً كبيراً في أن يُحبب إليه ابنه وثائق من القانون طويلاً ، ومخائف من حجج المدافع عريضة ، ولكن الصبي كان يهرب من هذا وذاك ، فيذهب إلى بعض الجداول فيقذف سطحها برقين

الحجر ، وبموجب من أن الحجر يقشط الماء ولا ينطس فيه . وكان يُنصّب في الأمساء على الجلوس إلى دروس لا لذة له فيها ، فلا يكاد أبوه يوليه ظميره ، حتى يقوم إلى الشباك ينظر

٤ - قصة المكروب

كيف كشفه رجاله
ترجمة الدكتور احمد زكي

وكل كلية العلوم

اسيلزاني Spallanzani

ثاني فزاة المكروب

« النفس الماكر الذي مالت الكنية
والسلطات وهو يحترها جميعاً لكي
يمش ولكي يسئل في سكون ؟ الذي
فاضل تضال الجند بغير أهية الجند وعدة
الجند ؟ الذي أثبت من مرق اللحم أن
المكروبات كمثل الأحياء لا بد لها من
آباء ؟ الذي أهدى للعلم مثاقته الوبيقة ،
ذلك الأثر الوحيد الذي بقي للناس إلى
اليوم من هذا الرجل الكبير الخالد »

« مات لوفن هوك وأسفاه ! قمن بمده لدراسة تلك
الحيوانات الصغيرة ؟ » . هكذا تساءل رجال الجمعية الملكية
بإنجلترا ، وهكذا تساءل رومور ، Réaumur* ورجال الأكاديمية
الفرنسية الأليمة في باريس . سؤال أجابته الأيام سريعاً ، فإن
قتاش « دلفت » ، لم يكد يُغمض عينيه في عام ١٧٢٣ ليستريح
تلك الراحة الطويلة الأبدية التي استحقها بعد طول جهد وعناء ،
حتى ولد في عام ١٧٢٩ سيّادُ للمكروب جديد ، وذلك في بلدة
« إسكندياتو » في شمال إيطاليا على بعد ألف ميل من مضجع
«لوفن هوك» . وكان اسم هذا المولود الجديد «لازارو اسيلزاني»

Lazzaro spallanzani ، نشأ وترعرع فإذا به ولد يلتغ بالشعر بيننا
هو يلعب بالطين يصنع منه الكمك والفطير ، ثم يعرف
عن طينه ويذهب في فطيره ليلهو بالخنافس والبق والذباب
وأشتات الدبدان ، يُجربى عليها تجارب قاسية ، هي عبث الصبي

* عالم طبيعي فرنسي ولد عام ١٦٨٣ درس الفيزياء والرياضة وبحث في
الحيوان والنبات ، وفي الكيمياء والصناعة ، ومن آثاره لمصدر صفائح
الحديد ، ومقياس الحرارة العروقاسحة ، وبه تنقسم ساق المقياس بين انحناء
الماء وغليانه إلى ٨٠ درجة ، انتخب عضواً بأكاديمية العلوم الفرنسية

ورضى الوالد وذهب الابن إلى جامعة ريجيو^(١) Reggio
ليحترف دراسة العلوم

وكان الزمان قد استدار قليلاً ، فأصبح طالب العلوم الطبيعية
ذا حظ أوفر من احترام الناس ، ونصيب أكبر من الأمن على
نفسه وحياته عما كان الحال يوم بدأ « لوفن هوك » بنحت
عدساته . فان محكمة التفتيش كانت قد بدأت تتخاذل قليلاً ،
وتستر أنياباً كشفت عنها طويلاً ، فأخذت تطالب الزندقة ، لا
عند المروفين النابهين أمثال سرفيتوس وجاليلو ، بل عند
الثكرات الخاملين ، فعمل هؤلاء المستضعفين تجنبت ، وألسنتهم
قطعت ، وأبدانهم حرقت . ولم تعد « المدرسة للتسرة »
تتمتع ، فقد كانت خرجت من أقيمتها السوداء وقيعاتها الظلماء ،
إلى ظهر الأرض حيث الهواء والضياء . ونالت الجمعيات العلمية
في كل مكان رعاية الملوك وحماية البرلمانات . وأصبح من المأذون به
أن يشكك الناس في الخرافات ، وأن يتحدث الناس حديث
الترهات الشائعة ، حتى لبدأ أن يكون ذلك سمة العصر ، والطراز
الجديد المختار لذلك الزمان . وأخذ الناس يطلبون الحقيقة وقاموا
يبحثون عنها في الطبيعة . ولم يلبث البحث العلمي ، بما تضمنه
من لذة وما بلغه من وقار ، أن شق لنفسه طريقاً إلى حظائر الفلاسفة ،
فقطع عليهم عزيتهم وحرّكهم عن سكوتهم . فقام فولتير إلى
ريف فرنسا وأوحاشها ، وقضى فيها السنين الطوال يتفقه فيما
اكتشفه نيوتن ، لينشره في قومه من بعد ذلك ويؤلفهم عليه .
ودخل العلم حتى في دور الندوة ، والصالونات الفخمة ، فاختلف
فيها بالسر النادر ، واختلف فيها أحياناً بالمهر الفاخر . وأكب
ذوات العصر ، وذوات المجتمع أمثال مدام ببادور^(٢) madame
de Pampadour على دائرة المعارف المحرمة يطلبون عندها فن توريد
الحدود وتزجيج الجواب ، وصناعة الجوارب ، وإلى جانب

(١) من جامعات العمور المتوسطة الشهيرة ومن أقدم الجامعات الإيطالية
بعد جامعة بولونيا وكان بها في القرن الثامن عشر مدرسة للتحقيق شبيهة
(٢) هي جين انتوانيت بواسون ، ولدت عام ١٧٢٦ من أصل غير
معروف ، ونسبت إلى مزارع ربي ، ثم تزوجت ، وبعد ذلك بنات أنصت
لبويس الخامس عشر ملك فرنسا فهام بها ، وظهرت عام ١٧٤٥ في بلاطه
باسم المراكز دي ببادور ، فأثارت نفسها راعية العلم والفن . ومنذ صرح
جالها وجهت معها للسياسة فلاّت وظائف الدولة بأعوانها مدة عشرين
عاماً . وكان من جراء خوضها أن حالت فرنسا عدوتها النمسا في حرب
سبع السنوات

إلى سماء إيطاليا وهي فاعمة كالقطيفة السوداء قد تيمّزت عليها
النجوم البيضاء ، ثم أصبح الصباح فيأتي رفاقه في اللعب يلقي
عليهم دروساً فيها حتى أستموه النجوم
وتأتى الاجازات فيضرب بجسمه العظيم في الغابات ؛ فذات
مرة وقمت عينه فيها على نافورات طبيعية يخرج منها الماء راعياً
مزبداً ، فخلق فيها من الدهشة ، وذهب عنه لبس الطفولة
وعبثها ، وعاد أدراجَه يفكر تفكير الرجال . ما سبب هذه العيون
وكيف كانت ؟ لم يخرج جواباً إلا حكاية حكاها له ذروه والقيس :
أن فتيات جيالات ذهبن في الغاب فضللن الطريق بين أحراجِه ،
فأحسسن الوحشة ، فيكين ، فانقلبت دموعهن عيوناً تفجّر
ما شاء الله

وكان « لازارو » ابناً طيماً ، وكان فيه خلق الساسة ،
فلم يجادل أباه ولا القيس ، وأما سخر من تعليمهم وأحق
سخرته في نفسه ، واعتزم أن يكشف عن سر هذه التوافير يوماً
وكان « اسبلزاني » في صباه شغوفاً بالكشف عن أسرار الطبيعة
شغف « لوفن هوك » ، ولكنه خالفة في السبيل التي سلك
ليكون عالماً باحثاً . قال لنفسه : « والذي يصّر على تعليمي
القانون ، وأنا أصر على غير القانون ، إذن فسيملن مشيئة من
تكون » . وتظاهر أمام والده بحب القانون والاقبال على الوثائق
الشرعية ، ولكنه أقبل في كل أوقات فراغه إقبالاً مريباً على
دراسة الرياضة والنطق واللغة الأغريقية والفرنسية ، وفي عطلاته
كان ينظر إلى الأحجار تطير فتكشط جلد الأنهار ، وإلى الماء
القوّر يتدفع من التبع الترنار ، ويحلم بالبراكين تغف بالثيران
مختلفة الألوان ، ويحلم باليوم الذي يقفه فيه منشأها ومنشأها
واستيقظت في نفسه الحيلة ، فذهب إلى العالم الطبيعي الشهير
« فالسنيري » Vallisneri وأفضى إليه بمكنون علمه فأكبره
الرجل العظيم وصاح به : « إنك يا بني خلقت للعلوم فما إضاعة
وقتك في كتب القانون ؟ » . فقال الماكر : « ولكن ، سيدي ،
إن أبي يصّر ، وما لابن غير الطاعة »

فذهب فالسنيري إلى أبيه غاضباً حانقاً ، فلما لقيه وبخه على
المبث بمراهب ابنه وإضاعته في تعلم صناعة لا يمود عليه منها
غير النفع والمال . « إن ولدك يا هذا يبشر أن يكون بحانة كبيراً .
لأنه يشبه جاليليو . وسيشرف اسكانديانو ويرفع ذكرها في الوجود »

تعلق هذه السلطات نفسها وكسب عطفها ، وطاش هادئا في أكتافها يعمل في مأمن من كل تهويش وإزعاج ، وترسم قسما حاميا للدين ، مدامعا دفاع الأعشى عن حوزة اليقين ؛ فإذا به يطلق لنفسه العنان إطلاقا يسورها على التشكك في كل شيء ، وعلى رفض التسليم بأي شيء ، إلا وجود الله ، لا إله إلا الله الكنيسة التي صورته ، ولكن إله عظيم نفخ يهيم على تلك الخلائق أجمعين . وقبل أن يبلغ الثلاثين من عمره تمعن أستاذًا بجامعة « ريجيو » فأنصت لدروسه الطلبة في حماس ظاهر وإعجاب نائر . وهنا في تلك الجامعة بدأ تجاربه على تلك الحيوانات الصغيرة الغثيلة المعجبة التي أغرها « لوفن هوك » بالصبر الطويل والحيلة الواسعة على البروز من ذلك الخضم الشاسع المظلم الذي احتجبت فيه منذ الخليقة عن عين الإنسان ، والتي أوشكت من بعد وفاته أن تنسل راجعة إلى ظلمة ذلك المجهول بالترك والاهمال والنسيان لقد كان من الجائز المقدور أن تُنسى تلك الخلائق الصغيرة ، وإن عطف عليها القدر ، فقد كان من الجائز الميسور أن تحظى بين الناس بنصيب من الذكر بقدر ما تحظى به الأعاجيب بتلاهي الناس بها ويتفكهاون عليها ، ولكن نقاشا قام بين أرباب الفكر بسببها ضمن لها الحياة كاملة ، لأنه كان نقاشا عنيفا خاصم فيه الأصدقاء الأصدقاء ، وودّ فيه العلماء الأساتذة أن يفلقوا جاحم الأبحار القساوسة . أما موضوع الخصام فهو ذاك :

أيمكن من العدم أن تخلق الأحياء ، أم لا بد لها من آباء ؟ أخلق الله الخلائق في ستة أيام ، ثم نقض يديه من الخليقة واستوى على العرش يهيم ويُسوس ، أو هو لا يزال ينسلي من آن لأن يخلق جديد ؟

أما الرأي الشائع في ذلك الزمان ، فكان أن الشيء قد يخرج من لا شيء ، وأنه لا ضرورة للآباء في كل حالة لتكوين الأبناء ، وإن في الأقدار المركومة والأوساخ المهيلة تتولد المواليد من غير والد . واليك وصفة من تلك الصفات يضمن لك ذلك العصر أنك تحصل بها على ثول عظيم من النحل : خذ ثورا صغيرا واقطعه بضربة على رأسه ، وادفنه واقفا في الأرض حتى لا يظهر منه إلا قرناه ، وأركه شهرا ، ثم عد إليه فانشر قرنيه بخروج منهما النحل طائرا في كثرة وزحام

أحمد زكي

ما أثاره العصر المجيد الذي عاش فيه اسبالتراني من الاهتمام بكل شيء كبير وصغير ، من ميكانيكا النجوم إلى رقصات الأحياء الصغيرة في الماء ، أخذ يشيع في الناس احتقارا مسموعا للدين ، ولكل رأي حتمه سلطة من أي نوع كانت ، حتى تلك الآراء التي بلغت من القدم والقداسة مبلغا كبيرا . في القرن الأسبق كان الرجل يمرض نفسه للأذى وحياته للخطر إذا هو قرأ كتب أرسطو في الحيوان ، وضحك على ما فيها من حيوانات معكوسة مقلوبة لا تمت إلى الممكنات بسبب قريب أو بعيد . أما في هذا القرن فالرجل كان يستطيع أن يكشف عن سنه في نور النهار باسمًا ساخرًا وأن يقول ولو في شيء من الخفوت : لأنه أرسطو لابد من تصديقه ولو كذب . على أن الدنيا كان لا يزال بها جهل كثير ، وعلم كاذب كثير ، حتى في الجمعيات الملكية والأكاديميات . وما كاد « اسبالتراني » أن يتخلص من دراسة القانون ، ومما يتبعه من مستقبل مليء بالهالكات التي لا حصر لها ، والخصائص التي لا نهاية لها ، حتى قام يحصل بكل ما فيه من قوة كل ما يستطيع من معرفة ، من أي نوع كانت ، ويمتحن شتى النظريات من أي مصدر جاءت ، وأن ينفض عن نفسه احترام المحجبات الثقات مهما علا صيتهن وشاع ذكركم ، واختلط بكل الناس ، من الأساقفة السنان ، إلى موظفي الحكومة ، إلى أساتذة العلم ، إلى ممثلي السارج ، إلى المازفين بالأشعار على القيثارة

كان في خلفه تقيص « لوفن هوك » أبعد النقص . عاش « لوفن » عزوفا جلدًا صبورًا ، ونحت العدس وحدق في الأشياء زهاء عشرين عامًا قبل أن يسمع به أحد ، أو يحس وجوده العلماء . أما « اسبالتراني » ففي سن الخامسة والعشرين ترجم عن القدماء من الشعراء ، وانتقد الترجمة الأبطالية لهوميروس ، وكانت لها في قلوب الناس منزلة مستقرة وتقدير مكن ، ودرس الرياضات مع ابنة خاله « لورا باسي » الأستاذة الشهيرة بجامعة ريجيو فبرع فيها ، وعتدئذ أخذ يكشط سطح المياه بالحجارة ، لا للهو واللعب كما كان يفعل صبيًا ، بل للجد والدراسة ؛ وكتب بحثًا في الحجارة ، وكشطها لسطح الماء ، وترسم قسيما في الكنيسة الكاثوليكية ، وأخذ يرتق بما يقيم من القداديس^(١) قلنا إنه كان يحتمل في الخفاء كل سلطة ، ومع ذلك نجده

(١) جمع قداس وهو الصلاة على الخبز والخمر

الليث بن سعد

محدث مصر و فقيها ورئيسها

للأستاذ على الطنطاوى

تممة

قال الامام الشافعى : الليث أنفسه من مالك
إلا أن أصحابه لم يقوموا به
وقال الامام أحمد : ليس في أهل مصر
أصح حديثاً من الليث

وقال الامام الشافعى : الليث أتبع للأثر من مالك

وكان ابن وهب^(١) يقرأ على الشافعى مسائل الليث فرت به
مسألة ، فقال رجل من الغبراء : أحسن والله الليث ، كأنه كان
يسمع مالكاً يجيب فيجيب هو ، فقال ابن وهب للرجل : بل
كان مالكاً كان يسمع الليث يجيب فيجيب هو ، والله الذى
لا اله إلا هو ما رأينا أفقه من الليث

وقال ابن وهب : لولا مالك والليث لضل الناس

وقال الدراوردى : رأيت الليث عند يحيى بن سعيد
وربيعة^(٢) وانهما ليرجران له رجرجة ويمظانه
وقال الذهبي : وكان من محور العلم له حشم وافر ، وكان نظير مالك
قال ابن عساكر : كان كبار العلماء يعرفون فضله ويشيرون
إليه وهو شاب ، وقيل له : أمتع الله بك ، إنا نسمع منك الحديث
ليس في كتبك ؟

قال : أؤكل مافى صدرى في كتبى ؟ لو كتبت مافى صدرى
ماوسعه هذا المركب !

منزله عند الخلفاء والولاة

قال الليث : قال لى أبو جعفر : تلى لى مصر ؟

(١) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى بالولاء أحد الأئمة . قال
أحمد : ما أصح حديثه ! وقال ابن معين : ثقة . وقال ابن حبان : حفظ
على أهل مصر والحجاز حديثهم . روي أنه حدث بمائة ألف حديث . مات
سنة ١٩٩

(٢) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن النيسابورى الفقيه المعروف بريعة
الرأى . وافته أحدوا بن سعد وابن حبان وأبو حاتم والنسائى مات سنة ١٣٦

قلت : لا يا أمير المؤمنين ، لى أضعف عن ذلك ، لى رجل
من الموالى

فقال : ما بك ضعف منى إلا ضعف بدنك ، أريد قوة أقوى
منى ؟ ولكن ضعفت نبئك في العمل عن ذلك ، نأما إذ أبيت
فدلى على رجل

قلت : عثمان بن الحكم الجذامى ، رجل له صلاح وعشيرة
فبلغ ذلك عثمان خلف ألا يكلمنى
فلما أردت أن أودعه قال لى : قد رأيت ما سرى من سداد
عقلك فأتى الله في الرعية أمثالك

وقال يعقوب بن داود وزير المهدي : قال لى أمير المؤمنين لما
قدم الليث بن سعد بغداد : إلزم هذا الشيخ ، فقد ثبت عند أمير
المؤمنين أنه لم يبق أحد أعلم بما حل منه

وقال لؤلؤ خادم الرشيد : جرى بين هرون الرشيد وبين بنت
عمه زبيدة بنت جعفر كلام ، فقال هرون : أنت طالق إن لم
أكن من أهل الجنة . ثم ندم فجمع الفقهاء فاختلفوا . ثم كتب
إلى البلدان ، فاستحضر علماءها إليه ، فلما اجتمعوا جلس لهم
فسألهم فاختلفوا ، وبقى شيخ لم يتكلم ، وكانت في آخر المجلس
وهو الليث بن سعد . فسأله فقال : إذا أخلى أمير المؤمنين مجلسه
كلته ، فصرقهم . فقال : يدنينى أمير المؤمنين . فأدناه . فقال :
أتكلم على الأمان ؟ قال : نعم . فأمر باحضار مصحف ، فأحضر ،
فقال : تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل إلى سورة الرحمن فاقرأها ،
ففعل ، فلما انتهى إلى قوله تعالى « وَإِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ » .
قال : أمسيك يا أمير المؤمنين ، قل : والله . . .

فاشد ذلك على هرون . فقال : يا أمير المؤمنين الشرط أم لك
فقال : والله (حتى فرغ اليمين) . قال : قل ، لى أخاف مقام
ربى . فقال ذلك

فقال : يا أمير المؤمنين ، فهما جنتان ، وليست بجنة واحدة !
(قال) فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر ، فقال الرشيد :
أحسن . وأمر له بالجوائز والخلع ، وأمر له باقطاع الجيزة ،
ولا يتصرف أحد بمصر إلا بأمره ، وصرفه مكرماً

قال الليث : وسألنى هرون الرشيد : ما صلاح بلدكم ؟ قلت :
يا أمير المؤمنين صلاح بلدنا بأجراء النسل وصلاح أميرها . ولأنه

قلت : نعم . قال : أعد علي ما قلت ، فاعدته ، فرق الشيخ وبكى ، وقال : ما احملك ؟ قلت : منصور بن عمار . قال : أبو السري ؟ قلت : نعم . فدفع إلي كيساً وقال : نحن هذا الكلام عن أبواب السلاطين ، ولا تمدحن أحداً من المخلوقين ، بعد مدحك لب المالمين ، ولك علي في كل سنة مثلها وكتب اليه مالك في رسالة : « . . وأنت في أمانتك وفضلك ومثلتك وحاجة من قبلك اليه . . الخ »

وقال له يحيى بن سعيد الأنصاري ، وقد رآه يفعل شيئاً من المباحات : لا تفعل ، فانك إمام منظور اليك

معه ركم

قال شعيب بن الليث : كان أبي يستغل في السنة مائتين وعشرين ألف دينار الى خمسة وعشرين ألفاً ، فتأتى عليه السنة وعليه خمسة آلاف دينار ديناً وقال محمد بن رمع^(١) : كان دخله ثمانين ألف دينار في العام وما أوجب الله عليه زكاة قط

وخرج يوماً فقوّموا ثيابه ودابته بمائة عشر ألف درهم الى عشرين ألفاً ، وخرج شعبة^(٢) فقوّموا حماره وسرجه ولجامه بمائة عشر الى عشرين درهماً

وقال أبو رجاء^(٣) : قفلنا مع الليث من الاسكندرية ، وكان معه ثلاث سفائن : سفينة فيها مطبخه ، وسفينة فيها عياله ، وسفينة فيها أضيافه

قال عبد الله بن صالح (كاتبه) : صحبت الليث عشرين سنة لا يتفدى ولا يتعشى إلا مع الناس ، وكان لا يأكل إلا بلحم ، إلا أن يمرض ، وكان لا يتردد اليه أحد إلا أدخله في جملة عياله مادام يتردد عليه ويسمع منه ، فاذا أراد الخروج زوده بالبلغة الى وطنه وكان يتخذ لأصحابه الفالوذج ، ويعمل فيه الدنانير ، ليحصل لمن أكل كثيراً أكثر من صاحبه

(١) هو محمد بن رمع بن المهاجر النجفي بالولاء المصري الحافظ وقته أبو داود ، وقال النسائي : ما أخطأ في حديث قط توفي سنة ٢٤٢ (٢) كان شعبة فقيراً صابراً ، وكان الليث غنياً شاكراً ، وكلاماً على خير ، وشعبة هو ابن الحجاج بن الورد التكي بالولاء الحافظ أحد أئمة الاسلام ، نزل البصرة ، قال أحمد : كان شعبة أئمة وحده ، وقال ابن معين : إمام الثقلين ، وقال أبو بحر : ما رأيت أعبد لله من شعبة ، وهو أول من تكلم في رجال الحديث توفي سنة ١٦٠ (٣) هو قتيبة بن سعيد الثقفى بالولاء أحد أئمة الحديث توفي سنة ٢٤٠

من رأس العين يأتي الكدر ، فاذا صفا رأس العين صفت العين قال : صدقت يا أبا الحارث

وقال السيوطي : كان نائب مصر وقاضيهما من تحت أوامر الليث ، وكان إذا رابه من أحد شيء كاتب فيه فيعزله

قال ابن أبي سريم : كان اسماعيل بن اليسع الكندي من خير قضائنا ، غير أنه كان يذهب مذهب أبي حنيفة في إبطال الحبس فأبغضوه ، فجاء الليث يجلس بين يديه ، فرفع اسماعيل مجلسه ، فقال : إنما جئت إليك محاصداً ، قال : في ماذا ؟

قال : في أحباس المسلمين ، قد حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فمن بقي بعد هؤلاء ؟

وقام فكتب الى المهدي ، فورد الكتاب بعزله . فأماه الليث فجلس إلى جنبه ، وقال للغاري : اقرأ كتاب أمير المؤمنين ، فقال له اسماعيل : يا أبا الحارث ، وما كنت تصنع بهذا ؟ والله لو أمرتني بالخروج لخرجت ؟

فقال له الليث : والله إنك لمفيع عن أموال الناس وكان في كتاب الليث إلى المهدي : أنا لم نكر عليه شيئاً غير أنه أحدث أحكاماً لا نعرفها

ولما أذن موسى بن عيسى للنصارى في ينيان الكنائس التي هدمها علي بن سليمان ، بنيت كلها بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة

منزلة هذه الناس

كان له أربعة مجالس يجلس فيها كل يوم ، فيجلس ليأتيه السلطان في نوائبه وحوائجه . وكان الليث يشاء السلطان ، فاذا أنكر من القاضي أمراً أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه المنزل ، ويجلس لأصحاب الحديث ، وكان يقول نحو أصحاب الحوانيت فإن قلوبهم متعلقة بأسواقهم ، ويجلس للمسائل يشاء الناس فيسألونه ، ويجلس لحوائج الناس فلا يسأله أحد من الناس حاجة فيرده ، كبرت حاجته أم سغرت . . .

وقال منصور بن عمار : كان الليث إذا تكلم رجل في المسجد الجامع أخرجه ، فلما دخلت مصر تكلمت في الجامع ، فاذا رجلاً قد دخلاً فأخذاني ، فقالا : أجب أبا الحارث . فذهبت وأنا أقول : واسوأناه أخرج من البلد هكذا . . .

فلما دخلت على الليث سلمت ، فقال : أنت المتكلم في المسجد ؟

فيقتلهم ، فوحدت الى مصر فدخلتها في هيئة رثة ، فزرت الليث ، فلما خرجت من منزله تبعتني خادم له في دهليزه ، وقال : اجلس حتى أخرج اليك ، فجلست ، فلما خرج وأنا وحدي ، دفع اليّ صرة فيها مائة دينار ، وقال : يقول لك مولاي أصلح بهذه النفقة أمرك ، ولم شمتك ، وكان معي في حُجرتي ^(١) ألف دينار ، فقلت للخادم : أدخلني على الشيخ فاني في غنى عن هذه المائة ، فاستأذن لي عليه ، فأخبرته بنسبي ، واعتذرت اليه عن رد المائة ، وأخبرته بما معي ، فقال : هذه صلة وليست بصدقة ، فقلت : أكره أن أعود نفسي هذه المسادة ، وأنا في غنى ، قال : ادفعها الى بعض أصحاب الحديث ممن تراه مستحقا فلم يزل بي حتى أخذتها ففرقتها في جماعة

ورقاه

توفي الليث يوم الجمعة ١٤ شعبان سنة ١٧٥ قال خالد بن عبد السلام الصدقي : جالست الليث بن سعد ، وشهدت جنازته مع أبي ، فلما رأيت جنازة قط بمدى أعظم منها ، ولا أكثر من أهلها ، ورأيت الناس كلهم في جنازته عليهم الحزن ، يترى بعضهم بعضاً ويكفون ، فقلت : يا أبت كأن كل واحد من هؤلاء صاحب الجنازة !

فقال : يا بني ، كان عالمك كريماً ، حسن العقل ، صكبر الأفضال ، يا بني لا ترى مثله أبداً . . .

قال بعض أصحابه : ولما دفناه سمعنا صوتاً وهو يقول :

ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى المولى قريباً وقبر فالتفتنا فلم نر أحداً

وصلى عليه موسى بن عيسى الهاشمي ، ودفن في القرافة الصغرى ، رضى الله تعالى عنه وبوآه من الجنة عرفاً

هذا ما بقى من هذه السيرة الجليلة ، متفرقاً في شتى الكتب ، ومختلف الأجزاء ، وقد ضاع سائرهما ، كما ضاع هذا التراث العلمي الضخم ، فرحمة الله على أولئك الأجداد الذين بنوا وشادوا ، وألفوا وجموا ، وعلموا وعملوا ، ورزقنا التأسى بأعمالهم ، والسير على سننهم . . . وألهمنا إحياء تاريخنا ، ونشر ما خبئنا

على الطنطاوى

(١) الحجرة بالضم مفرد الأزار ومن السراويل موضع التكة

وكان يطعم الناس الهرايس بمسل النحل وسمي البقر في الشتاء ، وفي الصيف باللوز والسكر وكان يصل مالاً كل سنة بمائة دينار ، فكتب اليه مرة أن عليّ ديناً ، فبعث اليه بخمسة مائة دينار . وكتب اليه مالك مرة إلى أريد أن أدخل ابنتي على زوجها ، فأحب أن تبث لي بشيء من عصفور قال ابن وهب : فبعث اليه بثلاثين جملًا بحملة عصفراً فصبح منه لابنته ، وباع منه بخمسة مائة دينار ، وبقي عنده فضلة قال أبو صالح (كاتبه) : كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا (أى احتجب) فقلنا : ليس يشبه هذا صاحبنا ، فسمع مالك كلامنا فأمر بأدخالنا عليه ، فقال لنا : من صاحبكم ؟ قلنا : الليث بن سعد قال : تشبهوني برجل كتبت اليه في قليل عصفور نصيب به ثياب صبيانا ، فأنفذ الينا منه ما صبقنا به ثياب صبيانا وثياب نجيرانا ، وبمنا الفضل بألف دينار ؟

ولما حج الليث أهدى اليه مالك طبقاً فيه رطب ، فردّ اليه على الطبق ألف دينار

ولما احترقت دار ابن لهيعة وصله بألف دينار ، ووصل منصور بن عمار القاضي بألف دينار

وكان يجيء الى المسجد كل يوم على فرس ، فيتصدق كل صلاة على ثلثة مسكين ، ولم يكن يرّد سائلاً :

أما مرة سائل فأمر له بدينار ، فأبطأ الفلام به فجاء سائل آخر فجعل يلح ، فقال له الأول : اسكت . فسمعه الليث فقال : مالك وله ؟ دعه يرزقه الله ، وأمر له بدينارين

قال منصور بن عمار : كنت عند الليث جالساً فأنته امرأة وممها قدح ، فقالت : يا أبا الحارث إن زوجي يشكى وقد نُعت لنا السل . فقال : اذهبي الى الوكيل فقولي له يعطيك . فجاء الوكيل يسأله بشيء . فقال له الليث : اذهب فأعطها مطراً ، لأنها سألت بقدرها فأعطيناها بقدرنا (قال : والمطر عشرون ومائة رطل) واشترى قوم من الليث ثمره بحال ، ثم إنهم ندموا فاستقالوه فأقالهم ، ثم استدعاهم فأعطاهم خمسين ديناراً وقال :

إنهم كانوا أملاً فأحببت أن أعوضهم

وقال أسد بن موسى ^(١) : كان عبد الله بن علي يطلب بنى أمية

(١) هو أسد بن موسى بن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان صاحب المند قال له أسد البسة ، قال النسائي ثمة لو لم يصنف لكان خيراً له . توفي ٢١٢

١٦ - محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون أو خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

- ليس في ذلك شك
- ترى إلى أى نوع من هذين يكون الجسد والجلد أشبه ؟
- ظاهر أنهما أشبه بالمرئى : إن أحداً لا يشك في ذلك
- وهل الروح مرئية أم خفية ؟
- لم يرها إنسان ياسقراط
- وهل تقصد « بالمرئى » و « الخفى » ، ما تراه عين الإنسان
ومالا تراه ؟

- نعم ، بالنسبة إلى عين الإنسان
- وماذا تقول عن الروح ؟ أهى مرئية أم خفية ؟
- إنها لا تُرى
- هى خفية إذن ؟
- نعم
- وإذن فالروح أشبه بالمرئى ، والجسد أشبه بالمرئى ؟
- إن ذلك مؤكد جداً ياسقراط
- ألم تكن تزعم منذ عهد بعيد ، أن الروح حين تتخذ من
الجسد أداة للأدراك ، أعني حين تستخدم حاسة الأبصار ، وحاسة
السمع ، أو غيرها من الحواس (لأن معنى الإدراك خلال
الجسد ، هو الإدراك بواسطة الحواس) - ألم تكن تزعم أن
الجسد بذلك يجر الروح أيضاً إلى منطقة التنفير ، وأنها تفضل
وترتبط ؟ فإن الدنيا عندئذ تضرب حولها نسيجاً ، فتكون
الروح عند خضوعها لتأثير الحواس كمن أكلته الحمر ؟
- جد صحيح

- ولكنك إذا ما ثابت إلى نفسك ، فإنها تفكر ، وبصدد
تدخل عالم النقاء ، والأبدية ، والخلود ، والثبات . فهو لا عشيرتها
وهي تعيش معها أبداً ، إذا ما خلت إلى نفسها دون أن يطلها معطل ،
أو يحول دونها حائل ، وعندئذ لا تمود تسلك سبلها الخاطئة ؟
فإنها إذا خالطت ما هو ثابت ، كانت هى كذلك ثابتة ، وتسمى
هذه الحالة التي تكون فيها الروح بالحكمة

أجاب : هذا صحيح ، حق ما قلت ياسقراط
- وبأى نوع ترى الروح أشد شبهاً وقرباً ؟ استنتاجاً من
هذا التدليل ومن سابقه ؟
- لى أظن ياسقراط أن كل من يتتبع هذا التدليل ، يعتقد

- وإذن فلنعد الآن إلى حوارنا السابق - هل يتعرض ذلك
المثال ، أو الجواهر ، الذى نمرقه في سياق الكلام ، بأنه كنه
الوجود الحقيقى - سواء في ذلك كنه السواة ، أو الجمال ، أو
أى شئ آخر - أقول هل يتعرض هذه الجواهر ، على مر الزمن ،
إلى شئ من التنفير ؟ أم أن كلاً منها يبقى هو ما هو دائماً ، له نفس
ماله من صور توجد بنفسها ، لا تتغير ، ولا تقبل التحول بتاتاً ،
كيفما كان ، أو في أى وقت كان ؟

فأجاب سيبس - إنها لابد أن تكون دائماً كما هى ياسقراط ،
- وماذا أنت قائل في تعدد الجميل - سواء أ كان أناساً ، أم لباساً ،
أم جياداً ، أم أى شئ آخر يمكن أن يسمى متساوياً أو جميلاً -
أهى كلها لا تخضع للتنفير ، وتبقى كما هى دائماً ، أم أنها تفيض
ذلك تماماً ؟ أليس الأولى أن توصف بأنها متغيرة في الأغلب ،
وأنها لا تكاد تبقى أبداً كما هى ، سواء مع أنفسها ، أو بعضها
مع بعض ؟

فأجاب سيبس : إنها الأخيرة - إنها دائماً في حالة من التنفير
- وأنت تستطيع أن تلبسها ، وأن تراها ، وأن تدركها
بالحواس ، فأما الأشياء الثابتة ، فلا يمكنك إدراكها إلا بالعقل -
إنها تخفى على الأبصار فلا تُرى

فقال هذا جد صحيح
فأضاف - حسناً ، لنفرض إذن أن تمت ضربتين من الوجود :
وجوداً حقيقياً ، ووجوداً خفياً
- لنفرضيهما

والمرئى هو التنفير ، والخفى هو الثابت
- يمكن فرض ذلك أيضاً
- أليس الجسد ، فضلاً عن ذلك ، جزءاً منا ، وما يبقى
هو الروح ؟

كالمعظام وبعض الأعصاب التي تستعصى على التحلل بطبيعتها .
هل تسلم بهذا ؟

- نعم

- وهل يجوز لنا أن نفرض أن الروح الخفية ، عند انتقالها إلى عالم الأموات الحقيقي ، وهو مثلها في خفائها ، ونفائها ، ونهاها ، وأنها إذ تكون في طريقها إلى الآلهة الخير الحكيم ، الذي توشك روحه أن تنتقل إليه ، إن شاء الله ، بعد حين - أقول : هل يصح الفرض أن الروح ، إن كانت هذه طبيعتها وذاك أصلها ، تنبذ وتبقى عند فراق الجسد ، كما تقول جمهرة الناس ؟ يستحيل أن يكون ذلك ، أى عزيزى سمياس وسيدس ، وأولى أن تكون الحقيقة أن الروح ، وهى نقية ، لا تجر في ذيلها عند انتقالها أية صبغة جسدية ، مادامت لم تتصل قط بالجسد اختياراً ، بل إنها لتتجنبه دائماً ، وما دامت قد انحصرت في نفسها (فقد كان مثل هذا التجريد موضوع دراستها في الحياة) . وماذا يعنى هذا إلا أن الروح قد كانت ثابتة مخلصه للفلسفة ، وأنها قد مرنت على كيف تموت بغير عناء ؟ أفليست الفلسفة هى مرانا على الموت ؟
- يقيناً

أقول إن تلك الروح في خفائها ، تنتقل إلى العالم الخفى - إلى الآلهى ، والخالد ، والعاقل ؟ فإذا ما بلغت ، رفعت في نعيم ، وتخلصت من أوزار الناس ، وحقهم ، ومن مخاوفهم وعواطفهم الخوشية ، ومن النقائص البشرية جميعاً ، ورافقت الآلهة إلى الأبد ، كما يروى عن الملائين بالسر . أليس ذلك صحيحاً ياسيديس ؟
- فقال سيدس : نعم ، وليس إلى الشك فيه من سبيل

(يتبع) زكى نجيب محمود

أن الروح ستكون قريبة الشبه بالثابت قريباً لانهاية له - ولن ينكر هذا حتى أشد الناس غباء
- والجسم أقرب شهما بالتغير ؟

- نعم

- انظر بعد ذلك الى الأمر مرة أخرى مستغنياً بهذا : حينما تتحد الروح مع الجسد ، تأمر الطبيعة الروح أن تحكم وأن تسيطر ، والجسد أن يطيع وأن يعمل ، فأى هذين العاملين أدنى الى الآلهى ؟ وأيهما أقرب الى الفانى ؟ أليس يبدو لك الآلهى أنه ما يأمر وما يحكم بطبيعته ، وأن الفانى هو الخادم الخاضع ؟
- حقاً

- وأيهما تشبه الروح ؟

إن الروح تشبه الآلهى ، أما الجسد فيشبه الفانى - ليس إلى الشك في ذلك سبيل يا سقراط

- إذن فانظر ياسيديس : أليست هذه هى خلاصة الأمر كله ؟
إن الروح على أشد ما يكون الشبه بالآلهى ، وبالخالد ، وبالمعقول ، وبذى الصورة الواحدة ، وبغير التحلل ، وبغير المتحول ، وإن الجسد على أشد ما يكون الشبه بالأنسانى ، وبالفانى ، وبغير المعقول ، وبذى الصور المتعددة ، وبالتحلل ، وبالتحول ؟ هل من سبيل إلى إنكار ذلك ، أى عزيزى سيدس ؟

لا ولا ويب

- ولكن إن صح هذا ، أفلا يكون الجسد عرضة للتحلل السريع ؟ ألا تكون الروح غير قابلة للتحلل ، في أغلب الحالات ، بل فيها جميعاً ؟
- يقيناً

- وهل تلاحظ فوق هذا ، أن الجسد بعد موت الإنسان ، لا يتحلل أو يتفكك دفعة واحدة ، بل قد يبقى أمداً طويلاً ، إذا كان قوى البنية عند الموت ، ووقع الموت في فصل ملائم من فصول السنة ، مع أن الجسد هو الجزء الملقى من الإنسان ، وله مادة تراها العين ، تسمى جثة ، تستعصى بطبيعتها إلى التحلل ، فتتفرق أجزاؤها وتنبذ ؟ لأن تقلص الجسد وتجنيطه ، كما جرت بذلك العادة في مصر ، بمملان في أغلب الأحيان على حفظه أبداً لا يبيد ، وحتى إذا أصابه الفساد ، فإن بعض أجزائه تظل باقية ،

الاسپرانتو Esperanto

كل القواعد - ومفردات تبلغ ٢٠٠٠ كلمة نظير
٢٠ مليا طوايع بريد مصرية أو قسيمة بريد المجاورة -
أطلب النشرة نمرة ٣٠
مدرسة الأسبرانتو بالمراسلة ص . ب ٣٦٣ بورسعيد

١٤ - بين القاهرة وطوس

من بغداد إلى الاسكندرية

للدكتور عبد الوهاب عزام

أقنا ببغداد أربعة أيام ، فأحدثنا العهد بيمض مشاهدنا ، وزرنا مرقد الملك الشهيد فيصل . رأينا في العراق على مقربة من دار البرلمان مقصورة من الخشب ترتفع عن الأرض درجات ، وعلى بابها جندي شاهر السلاح . ففتح لنا الباب إلى ضريح مغطى بالورد والزهر : هذا بقية الجهاد من النفس الطامحة ، هذا ميراث الخلود من العزائم المريرة ، هنا صفحة من مجد الاسلام والعرب ، هنا حلقة يصلها النسب والمجد والتاريخ بسيد المرسلين وخاتم النبيين . غابة تنقطع دونها الاعتناق ، وبما يمر بها كل سباق . أترى هذا المصحف على حافة الضريح ؟ هذا كتاب الله يشهد للسلف بما قدم ، ويدعو الخلق الى أن يمضي قدماً على سنة الآباء وسنن المجد وهدي الاسلام . فيا بني العرب والاسلام احذروا غضب الله ، وسخط الآباء ، ولعنة التاريخ ، وسبوا بالراية إلى الغاية ، وتبأوا مكانكم في جبهة الخطوب وصدر الأجيال فانا أناس لا توسط بيتنا . لنا الصدر دون العالمين أو القبر قرأنا صحائف المجد والعبر . ثم قرأنا الفاتحة وخرجنا نقول : رحم الله فيصلاً !

وفي اليوم الثاني شرعنا بالثول بين يدي جلالة الملك الشاب غازي بن فيصل ! اقتربنا من الحجرة الملكية فرأينا جلالاته واقفاً ، فلما ولجنا الباب تقدم إلينا خيانتاً بحية العربي الكريم ضيفانه ، وتلقانا كما يتلقى الأخ العظيم إخوانه . وجلسنا فسالنا كيف صحة جلالة مصر ، وسألنا عما رأينا في سفرنا وما لقينا في حلنا وترحالنا ، وكيف رأينا تقدم العراق بعد زورتنا الأولى ، ثم تحدثنا أحاديث ملؤها الأمل والطموح في مستقبل العراق والعرب والاسلام . قلنا وإنا ندعو الله أن يبسر للملك الهاشمي العظيم السبر على سنن آباءه ، ويرعاه قرة عين للعرب والمسلمين . ثم خرجنا فرحين مقتبطين ، فقلنا قد رأينا في فيصل صفحات من مجد الأمس ! وهذه صفحات من مجد القدر

نبني كما كانت أوائلنا نبني ونفعل مثل ما فعلوا
فصدق الله آمالنا ، وسعد لنا طريقنا ، ويسر لنا غايتنا .
وزرنا مسجد الامام أبي حنيفة والمدرسة الأعظمية ودار
الكتب . وزارنا في الفندق كثير من إخواننا البغداديين ،
وتنافسوا في دعوتنا إلى ضيافتهم ، ولكن ضاق الوقت عن اجابة
الدعوات ، إلا دعوتين سبقنا قبل سفرنا إلى طهران من الأستاذ
الفاضل أبي خلدون ساطع بك المصري مدير كلية الحقوق ،
والأديب الهمام وقائيل بطي مدير جريدة البلاد ، فذهبنا إلى
حفلتين نعمنا فيهما بلقاء جمع من زعماء العراق وعلمائه وأدبائه ،
وسعدنا بأحاديث في الاخوة والمودة ، والسياسة والعلم والأدب !
وفي اليوم الأخير كانت حفلة الوداع في دار الفوضوية المصرية ،
إذ دعا الأستاذ حافظ بك عامر القائم بأعمال الفوضوية جمعاً من
أعيان بغداد ، ومن المستشرقين الذين رافقونا في حفلات الفردوسي ،
وسفير إيران ببغداد وغيرهم إلى مأدبة شاي ، ولم تكن هذه أول
حفاوة حافظ بك والأخ حسين افندي منصور سكرتير الفوضوية
وبرحنا ببغداد بكرة يوم الاثنين في سيارة جديدة من
سيارات شركة (نيرن) ذات عشر محلات طولها ٢٥ متراً ، وهي
نمط جديد مركب من جزأين : القاطرة والعربة . وقد أريد بفصل
المقدم من سائر العربة إضعاف الارتجاج ، فالسيارة تسير رهوفاً في
الطريق غير المعبدة . وقفنا قليلاً في الرمادي ، فرأينا سيارة كبيرة
تقل نفراً من الانكليز ، فيهم أطفال ونساء ، وقد كتب عليها
ما يدل على أنها سائرة من الهند إلى لندرة ، سألت بعضهم متى
فصلتم من الهند ؟ قال : منذ شهر . قلت : ومتى تبلغون لندرة ؟
قال : بعد شهر ونصف ، لأننا سنتلبث في القسطنطينية وبعض
البلاد . فهانت علينا الشقة بين طوس والقاهرة ، وأكبرنا هذه
العزائم السيارة

بميد مناط الهم بالقرب مشرق إذا مارى عينيه والشرق مغرب
وبلقنا الرطبة بعد الغروب قبلتنا ساعتين ، جلسنا في فندق
هناك نستمع إلى الفناء المصري ، ونأكل ما تيسر من الزاد . ثم
مشينا في أطراف الصحراء فرأينا بجري وادي حوراني الذي
يسيل من حوران إلى وادي الفرات ، ولم يكن به يومئذ ماء ،
ورأينا هناك آباراً يستقي منها الأعراب الضاربون في تلك النواحي

الخالدي ، وأنا أعترف بأن الفلظ كان مني لا من الشيخ ، وأنه نُسبني إليه حينما قرأ المقال وهو عصر . (وهذا لا يُقل من شكرى للأديب برهان الدين محمد الداغستاني الذي نبهني إلى هذا الفلظ في مقال بمجلة الرسالة)

وفي المساء ذهبنا إلى الصالحية فزرتنا قبر الشيخ عبد الغني النابلسي ولم نكن زرناه ، فوقفت بنا السيارة على حارة هناك فترجلنا ومشينا بجانب بناء قديم مهجور فقيل : هذه المدرسة العمرية التي بناها أبو عمر بن قدامة . وفي هذا الحقل مدارس كثيرة كانت مباءة العلم والعلماء في المصور الخالية . وتقدمنا قليلاً ثم ملنا ذات اليسار ، فهبطنا مسجداً صغيراً مشرفاً على دمشق . ثم ولجنا باباً إلى اليمين فإذا مصلى واسع ، فلما أتجئنا شطر القبلة رأينا في الجدار الذي إلى اليسار مقصورتين عليهما شياطينك الحديد أحدهما مرقدة الشيخ الصوفي العالم المتفطن عبد الغني النابلسي ، والآخرى قبر أحد أبنائه فيما أذكر

وقد رأيت على باب المصلى الذي فيه الضريح هذين البيتين :
زان سورية الوزير نظيف بنظام يفوق عقداً نظماً
لقام الولي عبد الغني مذ شاد أراحت « نال أجراً عظيماً »
ومعنى ذلك أن والي سورية نظيف باشا عمر هذا المكان سنة ١٣٠٦ ثم ذهبنا إلى دار العالم الفاضل الأمير مصطفى الشهابي إجابة لدعوته ، وهي في أعلى الصالحية تشرف على دمشق كلها . فتعشينا وسمرنا مع جماعة من الفضلاء ، ثم هبطنا بعد هدأة من الليل فمشينا إلى الفندق ، وسار معنا الاخوان مودعين تفتحت إقامتنا بدمشق على أحسن ذكرى

وأصبحنا نتأهب للسفر إلى بيروت فبلغناها ظهراً . وذهبنا إلى دار القنصلية المصرية فلقينا حضرة القنصل صادق بك أبو خضرة فأبى إلا أن يدعونا للغداء ، ثم ودعنا بعد الغداء شاكرين فسرنا في أرجاء المدينة ، فلما أُرست الباخرة الرومانية « شارل الأول » وضمنا أمتعتنا بها ثم نزلنا فجلنا جولة في المدينة ورجعنا إليها والساعة إحدى عشرة ، وفي منتصف الليل سارت الباخرة ، فلما أصبحنا بها رأينا أسباط بني إسرائيل مزدحمين في أرجائها ، وقد راجت سوق اللابس بينهم ، هذا يمرض وهذا يساوم ، وهذا يشتري وهذا يبيع . فقلنا لله در القوم !

وقفت الباخرة على حيفا صبحاً ، وقد سارت حيفا ميناء

وقد جاء إلينا أطفال الأعراب ، فسألهم أحد الرفاق عن أحوالهم فلم يجيبوا ، فقلت إن ابن البادية يتحرز من ذكر اسمه واسم قبيلته حتى يأس ، فلما استأنسناهم بالحديث والعطاء صرحوا بالأساء . طلعت الشمس ونحن في أرياض دمشق ، فدخلناها في نضرة الصباح ، وأشمة الشمس تخرج على ذوائب الغرطة الفيحاء ، وما دخلت دمشق قط إلا خفق قلبي لها سروراً وحناً

أوبنا إلى فندق أمية يجيبه إلينا هذا الأمم العربي ، ولبثنا به يومين ، ووجدنا خدام المائدة هناك من النوبيين فرحبوا بنا وبالغوا في أكرامنا

وهنا لطيفة أضربها على الترك : جلست أنا ورفيق الأستاذ الصبدي للأفطار ، فلما قدمت إلينا الوان الطعام طاف بنا طائف من الشعر ، فقال الأستاذ :

وقوم في أمية نازلينا من العمل المصني يشربونا
فقلت :

ولو علموا مكانهم لكانوا بصحن بني أمية ينزلونا
قال ما صحن بني أمية ؟ قلت صحن الجامع الأموي . قال إن النزول به شرف . قلت هذا أردت . والله أعلم بذات الصدور
بادرنا بعد أن استرحنا إلى زيارة أستاذنا العلامة محمد كرد علي بك كما فعلنا حينما وردنا المدينة في طريقنا إلى طهران ، ومن قاته مجلس الأستاذ كرد علي في داره المعمورة فقد قاته خير كثير . وكنا نعمنا المرة الأولى ليلة غوطية قراء سمرنا بها مع الأستاذ والأمير مصطفى الشهابي والأستاذ خليل مردم وم كما قال الحريري
« في رفقة غنونا بلبان البيان ، وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ، ما فهم إلا من يحفظ عنه ولا يتحفظ منه ، ويميل الرقيق إليه ولا يميل عنه »

ويوم الأربعاء زرنا الجامعة السورية ، فإذا كلية الآداب قد أنشئت . ولقينا الأستاذ مدير الجامعة ، فطاف بنا في حجرات الكيمياء والطب ، ثم دعانا إلى غرفته فتحدثنا في الاصطلاحات العلمية وتوحيدها في البلاد العربية ، ثم خرجنا شاكرين . وذهبنا إلى المتحف العربي لترى الأمير جعفر الجزائري فإذا المتحف مطلق ، وإذا المكتبة التي أمامه مغلقة

وهنا أقول إن دار المتحف العربي هي دار المدرسة العادلية لا دار الحديث الأنشورية ، كما ذكرت خطأ في حديثي عن الشيخ

ونشأ فيها علماءنا ، فالعالم الاسلامي ، على اختلاف الأمم ، أمة واحدة ألقتها مئات السنين على معنى واحد ، وأسلوب واحد ، وأورثها التاريخ حضارة واحدة ، وآداباً متقاربة ، وهذا ذخير لعمر الحق جدير أن يسان على رغم الزمان ، واختلف ينبغي أن يجنب الاختلاف ، وتقارب هو أسعد ما تحظى به الأمم في هذه العصور القلقة المضطربة . فقل للذين يريدون أن يقطعوا الأوصال بما يشيرون من الجدال ، وقل للذين يحقرون ماضينا ، ويرددون تاريخنا ، ويحاولون أن يهدموا كل قديم ليشيدوا كل حديث ، وقل للذين يصدون عن المشرق ليولوا وجوههم شطر المغرب : ألا ساء ما تعملون ! لقد أعماكم التقليد عن الحق ، وذهب بكم الضلال أبعد مذهب . فان تعاديتم في الفوابة فسقندمون حين لا ينفع الندم والسلام

عبد الوهاب عزام

كبيراً منذ العام الماضي ، فتركنا إلى المدينة وصعدنا في جبل الكرميل وهو جبل عال مزدان بالدور والأشجار مشرف على البحر . ومررنا بقبر الباب صاحب الدعوة البابية ، وقبر عبد البهاء عباس أفندي زعيم البهائيين السابق . وهما في بناء جميل تحيط به حديقة منضدة يتحدر الجبل عنها طبقة بعد أخرى حتى يفضى إلى شارع واسع يستقيم من سفح الجبل إلى البحر وسارت السفينة بالمشي لما زالت في بحر رهو حتى أقبلت على الإسكندرية المحبوبة قبيل الظهر يوم السبت ثالث نوفمبر . خفقت قلوبنا فرحاً بالأوبة إلى الوطن ، وقذبت ميولنا بالمرأى الأجنبية المتراخمة في النفر ، وزادها قذى منظر زورق الشرطة تملؤه راية كتب عليها من الجانيين Police كأن البلد لا يعرف اللغة العربية ! وبينما تكفهر حولنا هذه المناظر المخزية وقع بصرى على كلمة « زمزم » الكلمة العربية الوحيدة في مئات الأسماء

المحيطة بنا ، وهذه زمزم إحدى بواخر بنك مصر ! هذا كوكب يلوح في هذا الظلام الدامس ! هذا برق من الرجا يشق هذا الليل اليأس ! هذه فاتحة المستقبل الوضاء ! فاصبرى أيتها النفس فان مع المسر يسرا

خاتمة

لم يتيسر لنا المقام في إيران حتى نعرف من أحوالها ودخائلها وسير العلم والأدب بها ، وحتى نستقصى آثارها ومشاهدها ، وإعنا هو السفر العجlan الذي لا يقف يله إلا ليسير عنه . فهذه المقالات جهد النظرة العاجلة ، ومبلغ الأيام القليلة التي قضيناها طائرين من مدينة إلى أخرى ، ومقدار ما وعت الذاكرة دون الاستمالة بالذكريات ، وهو كما رأى القارى كلام قريب النور ، قليل الجدوى ، ولكنه لا يخلو من فائدة وبعد ، فقد سرنا من القاهرة إلى طوس لما أحسنا أننا اغتربنا ، بل رأينا أنفسنا بين وجوه معروفة ، وسنن مألوفة ، وتاريخ معلوم ، وفي مشاهد حدثتنا عنها كتبنا ، وعهدنا تاريخنا

لن تكون غريباً في ثيابك
إذا ارتديت من صنع بلادك
شركة مصر للغزل والنسيج
مصانعها بالمحلة الكبرى
تنتج لكم
أفخر أنواع القطن
المصنوعة بأيدي مصرية من القطن المصري

بفته - دبلان - كستور - زفير - كزميز - جيردين
تيل للمراتب - بلايات للسرير - أفشة للمرايل - فوط
ومفارش للسفرة - بشاكير - برانس - جوارب
فلات - قطن طبي - أربطة جراحية - دوبر - أحبال
اطلبوا مصنوعات الشركة من كل مكان . . .

الله

لشاعر الشباب السوري أنور العطار

أنا في كوني الصغير صلاة

وسمت كونك العظيم الجود

يا إلهي قلبي الرقيق تهتد
يا إلهي طيف المعاء يُناجب
غاب لما دعاك عن وهدة الإله
يا إلهي أنا الفناء أنا ديب
ضمت عني لما دعوتك في الله
أي أنظافك المذاب تجلي
حفل القلب بالثقي فتصفي
ولهي بهجة وحيي لحن
فنبت مهجتي بحبك يا رب (م) وغلقت في الفناء لإشهد
أجد الفرحة العظيمة في الذئ
شفي الحب فاستحلت نداء
وأنا المبدؤ هام وجداً بمولاً

يا إلهي رُوحى توكله حيرى
على جفنى عالم لك حلول
أترعها ملائكة الحب بالسعة
ما جفت مقاتلى هذا الكرى الها

أنا في هبكلى اللهييف دعا
سأهد الجفن خاشع القلب بالك
أرقب الفجر في غلاله اليه
جدول رانع يرف من النور
غرق بغمز القلوب ابتهالاً
وأطلت ذكاه في المركب السا

أنا آمنت يا إلهي ينما لك يقيناً وما خلقت لأجند

رب طاول على الضغينة صدرأ
نسى الخالق اللطيف وجدوا
لا يبالى أنا ثم في حفر الديب
يومه آثم وأمس مجنون
لا يحس الحياة إلا ضلالاً
والإله الرحيم يوسع الخية

يا إلهي جدك غمر وإحسا
تنطوي الأرض في غياهب السعة
ويدوى الوجود بالمأب والهو
يتجى الرقيق من قلوب الحية
وتعوج الأنوان بالبغض والش
ونداك العميم ينهل سكا

عزت البيد، إنها موطن البنا
تدنى بكل أزوع سبا
ولله الحب في رباه نقياً
يا إلهي حليت بالنور مغنا
أعشب الفقر حين لاح محيا
واستأزرت به القوافل في الليل
وسرت نعمة النبي من الصنة
طفع الفقر بالشداواننشى الكو

يا نبي الهدى سبيلك رشد
عمت الأرض والسوآت نعا
لست أنسى صحابة لك غرا (م)
علموا الناس كيف تفتح الأزر
ملاوا الكون رحمة وسلاماً

عصبة الأمم

بين الحبسة وإيطاليا

للأستاذ محمود غنيم

ويحي على محكة السلام محكة لكن بلا أحكام
 لا هو لا للنقض والابرام ساجدة في عالم الأحلام
 والسيف يبرى المام كالأقلام ألم تر العصبة في المنام
 تحرش الذئاب بالأغنام؟ «روما» تهز صفحة الحسام
 وشفتا «جنيف» في ابتسام! إن رضى القاضي عن الإجماع
 فانه أولى بالانتهام ويل لحام من أخيه سام!
 يا سود ما أنتم من الأنعام

يا جيرة المضاب والآكام وساكني الذروة من شمام
 لا فضل إلا بالحديد الدامي فالحق في أسنة السهام
 لستم تتألمون بالاحتكام ماناله «منليك»^(١) بالصمصام
 ثم يتحدعون الناس بالأوهام متى استطاعوا الفصل في خصام
 أبوم فتك الترك بالأروام أم يوم روعت بلاد الشام
 أم يوم ديس الصين بالأقدام وهددت «طوكيو» بالانقسام
 قاتروا الصمت على الكلام! ما للضعيف في الوري من حام
 لولا نيوب الأسد الفرغام لكان من فضيلة النعام
 ولا ستبيحت حرمة الآجام

محمود غنيم

كروم حماده

(١) منليك الثاني ملك الحبسة الذي انتزع استقلال بلاده من أيدي الطليان باليف

فاذا العيش من شد الزهر أزار كي نفأ عابقاً وأحلى وأزغد
 ومشي دينك الحنيف على النبر راء حتى أغار فيها وأعجمد
 فرمى بالكتائب الغر كسرى وهز قلاً وكل ملك مقلد
 وسجى الفتح زاهر اليمن وصفا كما رف في السموات فرقد
 قبس من هداية الحق ضافي ويد من رعاية الله تمتد
 وأزدهى الكون فرحة وجوراً حين طافت به رسالة أحمد
 يا إلهي عنا لوجهك وجيبي وفوادي من طول حمدك مبعد
 أنا في كوني الصغير صلاة وصيت كوكبك العظيم الجود
 دمشق أنور العطار

الضحية

للأستاذ محمد خورشيد

يا زمان الأسى طرحت سلاحي لم تعد بي بقية للكفاح
 صرعتني الموم حتى كاني لم أدع في دنائها إثر راح
 كلما روضتها انبرت لي موم صلبة العود غاية في الجاح
 أخدع الناس بالبشاشة والحقائق في الجنب معن في التواح
 حلقة النفس لم ترمني ولما يطلق الخط من حياها سراحي
 فاني هذي الحياة وما في ظلة الرمس غير نور صباحي
 ستمت روحي الإسر فودت لو بغدت حرة مع الأزواج
 ما أراها غداة يدركني الأضحي سوى مستريحة كالأضاحي
 فيطيب النسيم منها أريجاً مثلاً طالب بالشذا الفواح
 وتطيف ابتسامتي بنغور الزهر القصب ورويه والأفاحي
 ويغنى الهزار شعري شجياً فاسموا في الربيع منه صداحي
 لم يعد لي غير الشفاف ضياد منذ أعياء الأساة لم جراحي
 ما عسى يصنع الطيب إذا ما عاد صبياً مثلي مبيض الجناح
 هاله أن رأى شبابي يذوي فتولى متمناً غير صاح
 في غدر قميص الذبالة جفني ها ويسرى الظلام في المصباح
 القرمس محمد خورشيد

منظر لا متاع

للأستاذ نغري أبو السعود

لا تبغ الدنيا متاعاً يشترى بل فانيها ما عشت فيها منظر
 وابغ الجمال بها إذا ما رمت شكلاً بها للناظرين مصوراً
 لا تلغيتك إن عدت لك لبانة منها على آناها متعسراً
 أنت المصيب لبائها وخيارها ما دمت فيها المصير المتعسراً
 والمجد كل الجد فيما نلت متفكراً لا جاعلاً متفكراً
 إني أرى حسن الطبيعة دائماً في كل يوم زائداً متكرراً
 ورأيت ما ملكت يمين عالة للالك الساني وعيناً موقراً
 الكون مسرى للعيون ومسرح لغواد من راد الحياة مفكراً

فصل ملخص من الفلسفة الألمانية

٨ - تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

للأستاذ خليل هنداو

آثرنا ترجمة بعض مقاطع لشوبنهاور ونيتشه ،
لأن أسلوبهما الفلسفي تغلب عليه الصيغة الأدبية
والشعرية في كثير من خطرتهما ونظرتهما
(خ ٥٠)

صفحة من آثار شوبنهاور

« كيف تنعكس صورة العالم الخارجى في عقولنا »

مقطوعة صغيرة وضعها الفيلسوف على لسان جنى يعبث لنا
الثام عن سر الأشياء

أماى شيطان ، شيطان ثقيلاً منتظلاً ، ما أجل النظر إليهما ؛
أحدهما إناء من حجر نمين محلى بعروتين من ذهب ، والآخر
جسد تام الخلق والمفاصل ، هو جسد إنسان ، فبعد أن تأملت
ظاهرهما كثيراً استأذنت من الجنى أن يسمح لى بتأمل باطنهما ،
فأذن لى فدخلت فى الإناء ، فلا أدرى أية ميول قائمة تتمشى فى
أجزائه تحت اسم الالتحام والالتئام

أما الشئ الثانى ويا للفرابة ؛ آى لى أن أحدث بما رأيت ،
فأساطير الجن يعنى كل ما فيها أخاً للحقيقة ، فى ذروته العليا
ألفيت ما يدعى « رأساً » مظهره الخارجى كمثل كل مظهر ، وهو
كغيره من الأشياء يسبح فى الفضاء ثقيلًا . ماذا وجدت ؟
وجدت الكون نفسه مع سمة الفضاء . وجدته يحنوى على كل
شئ ، فيه سمة الزمان ، وفيه يتحرك كل شئ ، وخالئى مع

أطلق به ما عشت فكرك رائداً
واكف يمينك عن أمور شتى
وأقم به حراً وأطلق ما به
واقنع بتغير من ذكاء إذا جرى
عن كل تغير مالك أربابه
حسن الطبيعة خير ما تمسكه
وأجل أجر فى الخلود لمؤمن
الاسكندرية

هذا التحول المجيب للأشياء فى الزمان والفضاء ، إننى فى
ذهاب وإياب :

- ٢ -

مقطوعة من كتابه « العالم هو إرادة وتخييل »

قد لا يدخل فى دائرة الصديق قولنا : إن الحياة ظاهرها
وباطنها صماء مظلمة ، هكذا تجري حياة أكثر الناس ، طائفة
بالقلق واليول النافرة ، تثنى فى صدر الإنسان حائرة مترججة ،
وصاحبها مستسلم للأحلام بين جذوائها الأربعة حتى يقضى نحبه ،
ما أشبه الناس بالساعات التى رُبِطت آلائها فشت لا تعلم سبب
مشيتها وغاية دورتها ، وفى كل مرة يولد إنسان تدور الساعة
لتعيد - كرة ثانية وثالثة - دورها القديم ، مرددة نفس الجملة
وذات المقطع بتبدل قليل لا يكاد يُحس

كل وجه بشرى ، وكل حياة بشرية حلم فان مستمد
من روح الطبيعة التى لانهاية لها ، ومن إرادة الحياة
العتيقة الثابتة . هى كالصورة أو كالتخيالة تمر سريعاً ، لا ترسمها
الحياة على الشاطئ اللانهاى للزمان والفضاء ، ولكن تتركها
لحظة أو لحظتين تنعم بهذه الإقامة القصيرة ، ثم تمحو رسومها ،
وتذهب بألوانها ، مفسحة لغيرها مكانها ؛ هذا هو الجانب الذى
يبحث على التفكير والتأمل . . . يجب على إرادة الحياة القاسية
أن تكافئ كل صورة من هذه الصور الصافية وكل أمنية من
هذه الأمنى الذاتية ، جزاء ما تحمكت من آلام عميقة وأوجاع
مضنية ، وذعر متكرر من الموت الذى تفر النفوس منه اليه

إن ما يجعل النساء أكثر صبراً من الرجال على الاعتناء
بشؤون أطفالنا ، هو أنهن يظللن أطفالاً ضيقات الفول ، ويلين
- طيلة حياتهن - أطفالاً كباراً ، لا هن الى الأطفال ،
ولا هن الى الرجال

لنلاحظ فتاة غانية تلمب وتمرح - سحابة نهارها - مع
طفل صغير ، ترفص أمامه وتفنى معه ، ولتتمثل أى رجل شديد
القسوة على إرادته يستطيع أن يصنع صنمها ، ويقوم بدورها
فى عصرنا هذا تقع عيونتنا على كتاب يتخذون الكتابة
مهنة ، أما قبل هذا العصر فقد كان الكتاب من ذوى الإلهام ،
ولم يكونوا تجاراً ، فلبثوا خالدين ، ولبثت مقالاتهم ومواعظهم
خالدة كالدهر

ادوارد هارتمان

وجد « شوپنهاور » في « هارتمان » تلميذاً أميناً لثعاليمه ، وإن اختلف مزاجهما بعض الاختلاف ، فوجه « شوپنهاور » حامد عابس ، نافر التقاطيع ، تكاد تبرز من وجهه كل علامم التشاؤم متكلمة منتقمة ، ووجه « هارتمان » هادئ تظفر عليه من التشاؤم سحابة رقيقة لا غليظة ، فهو متشائم مقبول لا يضيق به الناس ، ولا يضيق بالناس ، ولعل ترميجه الكثير على نوادي النساء مما رفق حسه ، ولطف شعوره ، ومثل له الحياة العابسة تبسم له من وراء هذه الوجود الناعمة ، والنفور الباسمة مال في بدء نشأته إلى العلوم الطبيعية ، وبعد قلب طويل دخل في مدرسة « السلاح » في برلين ، ثم وجد أن هذه الصناعة لم تكن لثلاثم مزاجه ولاحتته فهجرها ، وهو في إحدى رسالاته يقص علينا أن سبب تشاؤمه لا يرجع إلى ضعف في صحته أو اعتلال في مزاجه ، بل يرى أن روحه في الحقيقة روح تفاؤل ورضا ، ولكن زوجه كانت تظفر عليها سحابة من التشاؤم والكتابة الحرساء ، والعناد في الرأي الذي تذهب إليه

كان « هارتمان » في الثانية والعشرين من عمره حين أخذ يكتب كتابه « فلسفة اللاشعور » La Philosophie de l'inconscient. ولبت في تصنيفه خمس سنين . ما هو هذا اللاشعور ؟ إنه الارادة عند شوپنهاور تظهر كأداة شاملة عامة ، أو هي ذات فكرة « هيجل » بعد خروجها من - مصنع شوپنهاور - مبهمة مغمضة لا تدرك . ولا يرى القارئ في هذا الكتاب منهجاً جديداً لأنه تغير للمذاهب القديمة ، ولا بحثاً ناجحاً لأنه عصاة شباب متوقد روحاً وعاطفة . وإنما هو شعلة أضرمتها فتوة تنطوي على علم غريب ، فهوى نفسك أن تتبع آثار المؤلف في ما يعطيك ويلهمك ، ولا سيما في تمدنه عن « اللاشعور » في مقامات العقل الانساني وحالاته النفسية ، وفي غرائب الحيوان ، في اللغات ومساائل الدين ، وفي كل حنايا التاريخ وما احتواه ، حتى يأتيك بالصورة الأخيرة التي يرى فيها الانسانية وقد بلغت نهايتها متعبة من إرادتها ، ومن تفكيرها ، ومن حيلها ، وهي توافة مشتاقة إلى الدم ؛ حيث كانت ثم اقتشلت منه بغير

إرادتها . وهذه صورة فيها شيء من السمو الشعري بشرط أن يتلقاها الناظر كحلم خالص قدفت به مخيلة خالية

وقد أحدث كتابه هذا دوياً يصدأ في العالم الفلسفي والعالم الأدبي ، لا لأنه زاد - في ألمانيا - أنصار الفكرة التشاؤمية ، بل لأن هارتمان وشوپنهاور كانا أول من صرفا الذهن الألماني إلى مواجهة المسائل الفكرية بالفكر ، وأعادوا وصل الحلفتين اللتين قطع بينهما مذهب النحل الأعلى الذي سيطر على العقل الألماني طيلة عصر طويل

إن في كل ألماني مثقف نزعة خاصة به تتمشى في ثنايا روحه ، تريد أن تتحرك وأن تنمو بذاتها ؛ ترى الفرنسي يمنح إلى الفلسفة لتساعده على تفهم الحياة ، وبمباراة أجل لتعلمه كيف يعيش ؛ الألماني - على الأغلب يرى فلسفته حلاً ، ولكنه يمتدح أنه يستيقظ من حلمه هذا ، وأنه إذا أراد أن يعمل ، فعليه أن يفتح عينيه . . . وكل ألماني يتردد في حلمه أو يقظته - إلى المدينة الكاملة - التي تحدث عنها شوپنهاور ، المدينة المشيدة على ذرى النعام ، لأن الألماني واسع الحلم خصب الخيال ، وهناك يُفادر تصوفه الغريزي المبهم ، ويؤوب من تلك المدينة إلى الحياة الحقيقية ، وهو أشد حماسة وأكثر تأهباً للمركة التي يشنها في سبيل الحياة

على أن هذا المذهب ، (مذهب التشاؤم) قد لقي خصوصاً الداء من قارعهو الحجة بالحجة ، ونأزله زللاً عتيقاً ؛ وحق للفلسفة كلها أن تجمع أحزابها وشيعها على محاربة « مبدأ خطر » إذا فشا هدم كل أمل في البشرية ، وقضى على كل جهادها الطويل . وقد انضوى « الماديون » تحت لواء المارضة ، وكان أشهرهم « أوجين دوهريك » الذي وصل إلى هذه الفكرة السامية : « بأن الحياة يجموعها جيلة ، في أفراحها وفي آوارحها ، على أن تتناولها كما هي بمجرها وبجرها ، لا تحاول تفسير سنتها ، ولا تبديل طبيعتها ، ولا نطلب إليها أن تمنحنا مالا تقدر على منحه ، لأنها سائرة إلى غايتها التي لا نبالي بباقيتنا ، وإن في تمردنا على نظمها شقاءنا ، وفي رضانا عن مذهبها نعيمنا ما

فيلسوف هنري

« يتبع »

القصص

من أساطير الإغريق

أرفيوس الموسيقى أو

رمزة إلى الدار الآخرة

بقلم الأستاذ دريني خشبة

الأصيل ، وأندى على قلبه من أنفاس الصباح
إسمها يورديس . . مصدر إلهامه ، ومعين عبقريته ، وجمار
لحنه ، وأغنية حبه ، وأنشودة هواه . سئل مرة : ماذا تملك من
الدنيا يا أرفيوس ؟

فأجاب : « قيثارتي . . ويورديس ! »

وكانت يورديس تجمع الأزهار البرية في ررب من أترابها ،
لتصنع منها باقة مفوّقة تقدّمها لأرفيوس ، وكانت كلما راقم،
سوسة أو وقعت في نفسها زنبقة ، طبعّت عليها قبلة ندية
وضمتها إلى الباقة ، وهي تقول : وأنت أيضاً لحبيبي أرفيوس . .
وبينا هي كذلك إذا أفضى هائلة تنسل من بين الأشجار ،
فتلدغ قدمها الصغيرة المعبودة المطمئنة في الحشيش الأخضر ؛
فتصرخ المكيئة صرخة داوية ، ثم تنطرح إلى الأرض ، وتتناثر
الورود والرياحين التي جمعتها حولها ، كأنها تنضد سرير مونها
وتجتمع صديقاتها مذعورات ، فتمولن وتبكين ، وتحملها
إلى أرفيوس الذي يستنظر من هول الكارثة ، وينخلع فؤاده
من فداحة المصائب ، ويحاول الاستحيل لانتفاذ أعز الناس عليه ؛
ولكن . . هيهات ! لقد ماتت ، واحتلكت الدنيا في عيني
أرفيوس الشمس ، وأجذبت قيثارته من ألحان المرح ، واستروحت
إلى البسكاء والأنين . فيا رحمتا لمن ينصت إليها ويصني لها !
زفرات حارة تصددها أوتارها ، وأنات مؤلمة يتبثق منها الدم
تنبعث من أنفاسها !

وأرفيوس ، مع ذلك مترو عن العالم ، عزوف عن الناس ،
مستغرق في وحدته القاسية ، يفكر في يورديس

وصمم ألا يفقدها كما يفقد الناس أحبائهم . بل لا بد من
رحلة طويلة إلى الدار الآخرة . . إلى هيدز . . حيث إلهة الموتى
بلوتو ، فيضرع إليه أن يرد عليه زوجته التي لا حياة له إلا بها

أرفيوس ! لسان الطبيعة ، ونسجتي الآلهة ، ووحى السماء إلى
جى^(١) ، وصاحب القيثارة ذات الرنين . . والأين
كان يمزف ، فتشيع الحياة في الصخر ، ويقف أبولو العظيم
في مركبته الذهبية^(٢) ، مُطِلاً برأسه من عليين ، يسمع ويطرب
وكذلك كانت تصنع دياما ، فلطالما كانت تغزل من مركبتها
الفضية^(٣) في أعلى أجواز السماء ، لتلبث هنيئة بباب أرفيوس ،
تترود لرحلتها الإليية المرهقة ، من مشرق الدنيا إلى مغربها
والأشجار ! إن لها جذورا متغلغلة في أطباق الأرض ، ومع
ذلك فقد كانت حين تسمع أرفيوس ، تنزع إليه ، وتسير
وراءه خبيها ؛ وكتم شهد الناس حول بيته غابة من الدوح العظيم ،
والأيك الذاهب ، سمت إليه تلتذ من موسيقاه ، ثم هي تنصرف
في الساء فتتفرس في أصولها ، وقد ازدادت نصارة وازدهاراً ؛
ومع ذلك ، فقد كان ذا عُرّة مشرفة ، وابتسامة حلوة ما تكاد
تفارق فغره الصغير الجليل . وكان جم الحياء ؛ لم ينهر مرة أحد
رواده ، أو الترددن عليه ؛ بل كان يلقي الجميع ببشاشة الاخوة ،
وهشاشة الود

وكانت له زوجة أجمل من روعة الفجر ، وأفتن من وثنى

(١) جى هي الأرض في الميثولوجية اليونانية (٢) مركبة أبولو
الذهبية هي الشمس (٣) القمر

فيقول شارون : « يا صاحبي أنت لا تعرف هول ما تريد أن تقتحم ، وإني مخلص لك أمين ؛ إنك غض الأهاب ، موفور الشباب ، وإن جهنم لا تبقى ولا تذر ، وإيها أبدأ ترى بشرر كالقصر ، وإني أمحضك نصحا علمتي موسيقاك كيف أمحضك إياه ، وأستفذك به من عذاب مقيم . . . ألا تلتفكر فيما أقدمت عليه ، فإن من دونه مهالك ، وإن من دونه نكالا وأهوالا . . . »
وتبسم أرفيوس بسمة حزينة ، كانت ردأ صامتا على ما حذر شارون ، ثم أعد قيثارته وانطلق يتغني :

حملتُ جهنما في بعضر قلبي وفي بعضر جراحات فنونا
فأنت حذرتني نارا ، فاني أحذر نارك الله مع المتهونا
سأطعنها به حتى تراها مذررف مثله صببا سخينا
تخوفني لظاك وفي فؤادي لظي ممن جئنت بها جنونا
إذا ما الحب إن لم يكتشفه غرام^(١) لا يؤود الماشقين ؟
لقد دقت البرلى في دار عيشي أنى دار البرلى أخشى النونا ؟^(٢)

وما يكاد يفرغ من هذه الزفرة الحارة ، حتى تتحدر الدموع من عيني شارون ، ويتقدم اليه معتذرا ، فيحمله في الزورق ، ويخوض به عباب ستيكس ، وما يكاد يفعل حتى يرى أرفيوس إلى تغيظ اللوج وتلاطمه ، فيسأل شارون عما يهيج النهر برغم سكون الريح ، فيقول : « إنك ، وأنت من أنت ، من فوقه ، سبب هياجه واصطغابه ؛ ولو تخلى بينك وبينه لما أجماك منه شيء حتى تكوّن في أعماقه ؛ ! » ولكن أرفيوس يتسهم ابتسامته الحزينة ، ويتناول قيثارته فيوقع إحدى أناته المشجية ، فيبدأ ستيكس الصاحب ، وتصفو صفحته بين دهشة شارون وشدة تعجبه !

وتطول الرحلة ، ويمبران (أشيرون) نهر العدم ؛ (وليث) نهر النسيان ، و (كوكيتوس) نهر الآلام ، و (فليجيتون) نهر الحم والذهب ، ويصلان آخر الأمر إلى (هيدز) — دار الموتى — ومملكة بلوتو ، بعد عقبات وأهوال تغلبت عليها جميعا قيثارة أرفيوس ، بألحانها الرقيقة ، وأنغامها الباكية

(١) غرام أى عذاب

(٢) الايات مترجمة عن أصل يوناني

فكرة غريبة ، وتصميم عجيب ؛ رجل من دار الفناء ، له جسم ، وفيه نفس تتردد من إخصيه إلى ذؤابة رأسه ، كيف ينفذ إلى دار الموتى وعالم الأرواح ، ومملكة الظلال والأشباح ؛ لكنه أمل ملأ قلبه على كل حال ، وما هو ذا يحمل قيثارته ، ويبدأ رحلته ولا يدرى إلى أين ؟

ضرب في الآفاق على غير هدى ، وذرع الأرجاء في ضلال وحيرة ، حتى رثت له الآلهة ، فرشدته ، وأنارت له سبيله ؛ فاهتدى إلى ضفاف ستيكس^(١) ذى الزبد ، حيث وقف شارون التوق الجبار ، الذى يحمل أرواح الموتى في زورقه ، يعبر بها أنهار الجحيم للقاء بلوتو العظيم

وصاح شارون صيحة راجفة حينما لمح أرفيوس ، وزجر قائلا : « يا ابن العدم ، ياسليل الفناء ، ياسن لم تنفض روحه بعد ، ما جاء بك إلى هنا ، وما تزال تعثر في يرد حياتك الرث ، وتكتفى في قيد ديناك الويلة ؟ عد من حيث أتيت ، وإلا فوحق بلوتو المتصال لأسحقن عظامك ، ولأقذفن بك إلى ستيكس ، فيطويك اليم وتشويك اللحم . . . عد . . . عد . . . عد أقول لك . . . وى . . . ويكأنك لا تسمع !! »

ولكن أرفيوس يثبت غير هيباب ، ويتناول قيثارته غير وجل ، ثم يعزف لحنا من ألحانه الباكية فيزلزل به أركان شارون !

شارون : هذا الفظ ، غليظ القلب ، أقسى حراس جهنم ، يذوب رقة ويمتلئ جنانا ورحمة لما رأى وسمع ، فيهرول إلى أرفيوس مستمحا معتذرا عما بدر منه من سوء اللقاء ، وعبارات البذاء ، ويسأله في لين ورفق عن حاجته فيجيب : « لا شيء إلا لقاء بلوتو ! »

فيسأله شارون : « وكيف ، وهذا بدنك لا يحتمل زفير الجحيم ؟ »

فيجيب أرفيوس : « لا عليك ، مادامت هذه — ويشير إلى القيثارة — يميني »

(١) ستيكس هو النهر الكثير الذى يحيط بالدار الآخرة « هيدز » في الميثولوجة ، وهو يحيط كذلك بالأنهار التى تتحصر بينها جهنم ، وسبيلها ذكرها

تغلغل في السويداء من قلبي الزوجين ؛ وكانت الزنات ،
متمزجة بالأنات ؛ والهديل ، ليس مثله هديل ، قد أحدث أثره في
نفسهما ، حتى أن دمة مزرقة شوهدت تنسكب على خد
برسيفون !

وفي الحق ، لقد هاجت قصة يورديدس مشجون برسيفون ،
لما لحقت فيها من الوشائج بينها وبين قصة حياتها النعمة ،
في هذا الملك البشيش !

وازعج بلوتو لمجرد وسواس يلج في صدره ، لما شاهد من نأثر
زوجته ، وانسكاب هذه العبرة الحزينة على خدها الشاحب ؛
حتى لقد خيل إليه أن شياطين الحب قد قفزت من فم أرفيوس
الخبث ، ومن موسيقاه الشاجنة ، إلى قلبها الغض الصغير !
وقال بلوتو : « أنهض أيها الشاب ، فوحن أوريوس^(١)
لقد كدت تكون من المالكين ، لولا قصتك الباكية ، وموسيقاك
المبللة بالدموع . والآن ، ماذا جاء بك هنا ؟ وما الذي تطلب أن
ينتهي إليك من إحسان بلوتو ؟ »

فركع أرفيوس ركة التذلل والضرعة ، ثم قال : « مولاي !
يورديدس يمولاي ؟ تأمر فتمود أدرجها مني إلى الحياة الدنيا ! »
فأجاب بلوتو : « طلبت المحال أيها العبد ؛ ولكن بلوتو
الكرم ، لن يدرجك بالنس مثلك . لك ما سألت ، وستعود
يورديدس معك ، ولكن على شريطة واحدة : ألا تراها حتى
تخرج من هيدز ، لأنها ستبئك ، فلا تغفلت ورائك أو تنادى
دار الموت ! »

وركع أرفيوس ركة الشكر ، ثم قال : « سأنفذ مشيئة
مولاي . »

وأمر بلوتو فأحضرت روح يورديدس ، وبدأت الرحلة إلى
الدار الأولى ، في ظلمات بعضها فوق بعض ، والحبيبان يدلحان خبيبا
وكان قلب أرفيوس يدق . . . ويدق

والهما ليكادان يبلغان الصدوة الأخيرة من نهر ستيكس ،
حتى يوحس أرفيوس خيفة ، ويظن — ويأثر ما يظن — أن
يورديدس قد ضلت سبيلها من ورائه ، فينسى شرط بلوتو ،
ويتلفت فجأة خلفه ، ليرى أنها ما تنفك تتبعه . ولكن بالول !

(١) أوريوس هو السماء ، أبو الآلهة ، في الميثولوجيا

وتبدأ من هذا الشاطئ الأخير رحلة شاقة في ظلام
دامس وحلك شديد ، في مسالك ملتوية ، وشباب متداخلة ،
لا تجدى معها موسيقى أرفيوس قتيلا ؛ وهنا يبدو له أن يقصر هذا
السفر الطويل بالسؤال عن يورديدس ، كيف حملها شيرون في
زورقه ، وكيف عبر بها في هذه الفجاج إلى الممر الأخير ، وهل
كانت تبكي ؟ أم كانت راضية بالقضاء الذي فصلها من أحب
القلوب وأقصاها عن أعز الناس ؟ وهل حدثته عن الشاب
أرفيوس ؟ أم كانت في شغل عن كل شيء بما هي فيه ؟ وهل كل
روح من أرواح الموتى تستغرق كل هذا الزمن في عبور أنهار هيدز
وفياها ؟ وهل تألت يورديدس حين كانت تعبرها ؟ . . .

وكان شارون يجيب عن هذه الأسئلة المتتامة إجابة مستفيضة
حتى وصلا إلى بوابة كبيرة الحجم ، نصل إلى قصر بلوتو !
ولكن كلبا ضاريا بادى التواجد بارز الأنياب كان رابضا
عندها ؛ فلما لمح أرفيوس ، وهو من غير الأموات ، هاج وماج ،
وتوثب يريد البطش بهذا اللابى المنوع !

وتنبه أرفيوس ، فرك أوتار القيثارة ، وتغنى على أوتارها
ألحانه وآلامه ؛ فتاب الكلب وهذا ، وبسده أن أقمي قليلا ،
تقدم إلى الضيف الحبيب بلحس قدميه ، ويتمسح به . . .
ويا للموسيقى !

ثم هذا عرش بلوتو ؛ وإلى جانبه زوجته الريح ، برسيفون^(١)
كسيرة القلب مهبضة الجناح ، تملأ أساريرها هبوسة قاعة ، وتجنم
على قلبها لوعة داعة . يالبرسيفون ! ويا لهذا النقي السحيق !

ولشد ما دهش بلوتو حين بصر بهذا المخلوق الذي استطاع
أن ينفذ إلى هيدز ، وفيه رمق من حياة ؛ بقضه وقضيضه ،
ومجره ومجره !!

وقبل أن ينبس بلوتو ، جتا أرفيوس لدى قاعدة المرش ،
وطبع على الأرض قبلة كلها احترام ووقار ، ثم تناول قيثارته ،
وطفق بتغنى بقصته الشجية ، يرسلها خلل أنغامه الحزينة ، وملأ
ألحانه البتيمة . . حتى أنهما

وكانت للموسيقى متمزجة بالفناء الحلو والشعر السامى ، قد

(١) برسيفون ، أو پروزين ، كما يسميها الرومان ، وهى ربة الريح
التي اختطفها بلوتو لزوجته في وحثته في هيدز ، بعد إذ رفضت جميع الربات
مقاصته ملكة ، وقد نشر أسطورتها قريبا

ثم يفر منه ، فيقتلن أثره ، فيمعن في الفرار ، فيتضايقن ،
ويصمونه بسهامهن ؛ ثم يرجنه بالحصى الموت ؛ والحجارة الثقال ؛
حتى يموت :

ويسمعه إذ هو يجود بروحه يقول : « يوريديس . . .
يوريديس ! »

فتردد الأصدااء نداءه الحزين : « يوريديس . . . يوريديس ! »
وماتزال الأشجار والأطيّار تهتف إلى اليوم هتاف موسيقارها
الخبون : « يوريديس . . . يوريديس ! »

وانطلقت روحه البريئة تعبر بدورها ستيكس ، وأشيعرون ،
وليث ، وكوكيتوس ، وفليجتون . . . فيلتقاء شارون الجبار
بأبها هاشاً حياً . . . ويجلسان معاً في الزروق ، يقصان ذكريات
الماضي . . . القريب ! ويلتقاء الكلب عند البوابة ، فيهرول إليه ،
ويتمسح به ، وفاء وذكري ! ويلتقاء بلوتو كذلك ، فيهنثه
بالمود . . . إذا كان المود أحمد ! !

دميني خمينة

أما يوريديس . . . !

لقد رأى يوريديس بأسطة ذراعها إليه ، كمن يتلصص طريقه في
الظلام ؛ وحين تراه يلتفت إليها ، فيخل بالشرط الذي عاهد ربه
على تنفيذه ، تشق من لذه راحمة أدراجها إلى هيدز . . .
متمتة في صوت ضعيف خافت : « وداعاً يا أرفيوس ! يا حبيبي
أرفيوس . . . وداعاً . . . » فيصرخ المسكين صرخة يكون معها
في هذه الحياة الدنيا ، حياة الشقاء والآلام ! !

ويظل على شاطئ ستيكس سبعة أيام مفجعاً محزوناً . . .
يحاول عبثاً أن يعود إلى هيدز . . . ولكن . . . هيهات !

ويدخل الدنيا عظم القلب ، خفق الأحشاء ، موهون
القوى . . . لا يطيب له عيش ، ولا يسوغ لذة من لذائدها .
ويتخذ مأواه في شفاف جبل تزمزم الرياح في جنباته ، وتزجر
الوحوش في غيراته ، وتدوي البواشق في قننه ، ويكون كل
أولئك خير صحابه ، وإلما أعز الرفاق !

وتلقاه نسوة ممن اعتدن التخلف إليه في أيامه المواضي ؛
فيحتلن عليه ليمزفن لمن من ألقانه ؛ ولكنه يمزف عنهن ويشيح ؛

صدر كتاب (في أصول الادب) :

في أصول الادب

مخاضة بنت ومقالات في الادب العربي

بقلم

احمد الزيات

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن جميع المكاتب

وثمنه ١٢ قرشاً عدا أجرة البريد

وزارة المعارف العمومية

اعلان مسابقة

عن الحاجة الى كتب للمدارس الصناعية

تعلن الوزارة عن حاجتها الى طائفة من الكتب توضع
وفقاً للمناهج الجديدة المقررة للمدارس الصناعية — وتقدم
للوزارة في ميعاد غايته ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٥

وبيان هذه الكتب وشروط السابقة موجود بأدارة
مخازن الوزارة بالقاهرة . ويمكن طلبه منها أو الاطلاع عليه
بها أو بعدد الوقائع المصرية نمرة ١٤ الصادر في ١٤ فبراير
سنة ١٩٣٥

البريد الأدبي

رسائل سنت ييف

صدرت أخيراً مجموعة من رسائل سنت ييف العامة ، وهي قسم من رسائله التي لم تنشر ، والتي تملأ نحو عشرة مجلدات ، وتولى إصدارها ميسو جان بوزو مقرونة بمختلف الشروح والبيانات . وميسو بوزو هو اليوم أعرف الناس بسانت ييف وتراثه الأدبي . ويكفي أن نعرف سانت ييف بكلمة ، هي أنه أستاذ النقد في الأدب الفرنسي ، ويعتبره بعضهم إمام النقد في جميع الآداب والمصور . وتشمل هذه المجموعة الأولى رسائله العامة بين سنتي ١٨١٨ و ١٨٣٥ ، وهو بالنسبة لسنت ييف عهد التكوين الأول منذ مقدمه الى باريس صبيّاً في الخامسة عشرة حتى التحاقه بتحرير مجلة « العالمين » وتولية باب النقد فيها . وفي هذه الفترة الحافلة درس سنت ييف العلب ، وبرز في الصحافة ، ونشر كتابه عن الشعر الفرنسي في القرن السادس عشر ، وأنجز قسماً عظيماً من رسائله النقدية ، وأخرج كتابه عن شعر يوسف ديبلورم وروايته « الهيام » ، ثم تطورت حياته الأدبية واستقرت حول النقد الأدبي . وفي هذا العهد أيضاً تعرف سنت ييف بأقطاب الأدب في عصره مثل دي فيني ولامرتين وهوجو وبيرانجييه وشاتوبريان ، ولكن العلاقات الودية لم تطل كثيراً بينه وبين أحد منهم ، لأن مهمته كناقذ أدبي ، وتوغله في ذلك الميدان وصراسته وحده قلبه ، لم تفسح مجالاً لثقل هذه الصداقة الخاصة ، وهنا تلقى رسائل سنت ييف أكبر ضوء على هذه العلاقات والصداقات ، وتبين لنا الى أي حد كان النقادة الأشهر حريصاً على رأيه واستقلاله ؛ بيد أنها تكشف عن ناحية أخرى من صفات سنت ييف ، فهو لم يكن رقيق الطبع ، ولم تكن روحه ترتفع الى مستوى ذهنه من السمو والصقل ؛ والواقع أن هذه الرسائل الخاصة ليست مما يؤيد عظمة سنت ييف ، وإن كانت تفسر لنا كثيراً من خواص روحه المقدمة ؛ ففيها يبدو لنا قليل الكرم ، قليل الصراحة ، مسرفاً في الحقد ؛ ولمله لم يكن لينفذ الى فكر الغير ومواهبه وأسراره إلا لأنه كان كثير الحقد والبغض

ولئن كان سنت ييف بديعاً لا يجاري في تصويره وتحليله للقدياء ، فإن أحكامه على معظم معاصريه كانت تتأثر في الغالب بمواقفه الشخصية ، وليس أدل على ذلك من قسوته في الحكم على الفرد دي فيني ، وبلزاك ، وشاتوبريان ، ولامرتين ذلك أن سنت ييف كان نكد الروح ، وقد كان قبيح الهيئة ، وكان في حاجة لأن يحب ، وكان رقيق الحاسة ، معقد المواقف ، ولم يلق نجاحاً في الحب ولا في المكتبة كشاعر وكاتب وقصصي ، هذا بينما كانت تحيط به عبقریات سميحة ، محققة الأمانى والرغبات ، تنم كتبها تأييد الجمهور . وروى أنه قال ذات يوم إذ يشاد أمله بمقبرة دوموسيه : « لست أقل شاعرية منه » . ولم يكن سنت ييف يجمل معانيه ، بل كان يظن اليها ويشق بها ، بيد أنه يجب أن نتعرف بأنه كان يسمو دائماً بمثله الأعلى كناقذ ومؤرخ للآداب ، وأنه لم يكن يدخر وسعاً في خدمة هذا المثل باخلاص ، وهذا هو السر في عظمة تراثه الخالد

ولعل أهم ما تفصح عنه هذه الرسائل الجديدة لسنت ييف هو علاقته مع فكتور هوجو ؛ وقد انحلت تلك العلاقات صورة مأساة حقيقية . والمأساة معروفة ؛ ولكن الرسائل تلقي عليها ضوءاً جديداً . وخلاصتها أن سنت ييف وهوجو جمعتما منذ سنة ١٨٢٧ مدى ثلاثة أعوام صداقة خالصة لم تشها شائبة ، ولكن سنت ييف تغير فجأة . ذلك أنه شعر أنه يهوى امرأة صديقه ؛ وهناك رسالة بحجية تفصح عن حالة سنت ييف النفسية في أوائل سنة ١٨٣٠ ، وهي رسالة عنيفة صارمة يندرجها سنت ييف بأنه لن يكتب عن رواية « هرناني » التي ستمثل يومئذ ، (وهرناني من تأليف هوجو) ، وأنه لم يعد يحتمل جو الصداقة والشاعرية الذي يمتش فيه مع أصدقائه منذ تظاهر هوجو بأنه زعيم مدرسة ، وغض منزله بالمجبيين والأنصار حتى أصبح مكاناً عاماً ، والتظاهر أنه قد وقعت بين الصديقين على أثر ذلك محادثة اعترف فيها سنت ييف لصديقه بأنه يحب زوجته . وقد كان هوجو في تلك المسألة جواداً كريم النفس ، فاستقبل هجر صديقه بأدب ، مؤكداً له أنه سيلقى فيه دائماً أخاً وصديقاً . واعتكف

بتأسيسه هي السيدة (أم البنين) فاطمة بنت محمد بن أبي بكر
الفهري قدم والدها من القيروان لفاس وتوفي بها وخلف ابنتين
فاطمة هذه وأختها مريم ، وأورثهما مالا كثيرا صرفت فاطمة
حظها منه في بناء القرويين ، وفلمت مريم مثل ذلك فأسست
مسجد الأندلس الذي يعتبر من المساجد العتيقة بفاس

(٢) ذكر الشيخ حين نسب كتاب (جذوة الاقتباس)
لابن القاضي أنه فشتالي (من فشتالة على نهر درغة) والمروني
أن مؤلف الجذوة (ابن القاضي) من أولاد ابن أبي العافية
الكناسيين ، نسبة لذلك جميع من ترجم له ممن وقفنا عليه ،
بل هو نفسه انتسب إليهم في كتابه لما ترجم لموسى بن أبي
العافية أمير مكناسة بسد أن تبرأ من أفعاله مع الأشراف ونص
الفرض من كلامه : « ونسبتنا نحن هي إلى هذا الرجل أعني
موسى بن أبي العافية والله أعلم ، لكن فعله الذي كان منه لأهل
البيت لا أرضاه . . . الخ »

أما كتاب الشريف الكتاني فلا يسمى بالجذوة بل هو (سأولة
الأنفاس فيمن أقبر بفاس) وهو للسيد محمد بن جعفر الكتاني
الشهير برحلته إلى الشام وإقامته بها والتوفى بالمغرب منذ بضع سنين
فاس محمد عبد القاسي

مجلة الثقافة الإسلامية في إسبانيا

قالت جريدة « المانشتر غارديان » أن المستر مارمادوك
بكنول اعتزل خدمة نظام حيدر آباد وفي نيته أن يعيش في إسبانيا
حيث يواصل تحرير مجلة تصدر كل ثلاثة أشهر تسمى « الثقافة
الإسلامية » صدرت منذ عشر سنوات

والمستر بكنول شاعر له مؤلفات كثيرة عن الشرق وكان
يعمل في وزارة المعارف في حيدر آباد . وقد درس أخلاق الشعوب
الشرقية فقام عاماً في جيبيل الدروز وتعلم العربية . ومال إلى
أفكار بعض الشرقيين ودرس عيشة الوطنيين في مصر وله فيها
أعمال قام بها في مستهل هذا القرن لا تزال سراً من الأسرار

مؤتمر نادي القلم الدولي

من أبناء إسبانيا أن الاستمدا يجرى في مدينة برشلونة عاصمة
قطونيا لعقد المؤتمر الثالث عشر لنادي القلم العالمي . وسيعقد
هذا المؤتمر لمدة ستة أيام بين ٢٠ و ٢٥ مايو القادم . وسيشهد
مندوبون من مراكز القلم في أنحاء العالم . وقد أعيد برنامج حافل
للأعمال الداخلية ، ومختلف الحفلات والاستقبالات والحللات

سنت ييف مستسلماً إلى الحقد والأسف والغيرة ، مصوباً سهمه
لسكل من لقيه في طريقه ؛ وعكف هوجو على مكاتبه ، يمزيه
وروح عنه ؛ ومضت ثلاثة أعوام ، وسنت ييف ماض في طريقه ،
وكما التقى الرجال أناس تلك المرارة التي غشيت صداقتهما ؛
وأخيراً أتى سنت ييف قناعه ، وأعلن الخصومة على صديقه ،
فالستلم هوجو للقدر . ولكن الذي لم يكن يعلمه هو أن زوجته
كانت تشار خفية على رؤية سنت ييف في الأماكن المهجورة ،
كالكنائس وغيرها ، وكانت تنزه معه في عربة . وما يزال
التاريخ يتساءل : هل كانت ادبل هوجو زوجاً خائناً ؟ والرأي
المرجح هو أن ادبل كانت تبادل سنت ييف حبه ، ولا سيما منذ
سنة ١٨٣٢ ، أي منذ غدا زوجها عاشقاً لجولييت درديه . وقد
ضاعت رسائل ادبل لسنت ييف ، ولكن سنت ييف كان يحتفظ
بصور بعضها ؛ وفيها تتحدث ادبل عن حبهما . ولقد أبدلوى
بأرتو في كتابه « غرام شاعر » زلة ادبل ودلل عليها

وإن في رسائل هوجو مع ذلك ما يدعو حقاً إلى التأثر ؛ فقد
لبث يجهل كل شيء مدى أعوام ، وتطبع رسائله إلى سنت ييف
بساطة وثقة ومودة مؤثرة ، فلما ظهرت الحقيقة ووقعت
الفضيحة كانت شديدة على نفسه ، ومع ذلك فإن ادبل هوجو
لبث حيناً بعد ذلك يرى سنت ييف ويحاول أن توفق بين
الصديقين القديمين ، وذلك شاهد في رأي البعض على براءة ادبل
وطهرها . أكانت تسمى إلى مثل هذا الواقع لو كانت امرأة خوّناً ؟
(ملخصة عن أميل هريو في الطان)

للحقيقة والتاريخ

قرأت في العدد ٨٤ من مجلة الرسالة الفراء مقالاً للكاتب
المبقرى الدكتور عبد الوهاب عزام سجل فيه مجلساً من مجالس
العلامة الواعية الشيخ الخالدي بذكرنا بالأمالى القيمة التي كان
يلقيها فطاحل علماء الإسلام في عصور مدنيته الزاهرة
وقد لاحظنا في هذا المقال ملاحظتين بسيطتين أحببنا ألا
يفوت قراءة الرسالة التنبه اليهما

(١) لما عدد الشيخ دور العلم العظيمة بالمغرب وذكر جامع
القرويين بفاس قال : (إن الذي أسسه هو مولاي إدريس الأصغر)
والحقيقة أن بناء القرويين كان بعد وفاة المولى إدريس باثنين
وثلاثين سنة إذ شرع في بنائه يوم السبت من شهر رمضان عام
خمسة وأربعين ومائتين ، والمولى إدريس الأصغر توفي سنة ثلاث
عشرة ومائتين وكان ذلك في عهد يحيى بن محمد بن إدريس والقاعة

من هنا ومن هناك

العلم والسياسة

كثير حديث الصحف البلجيكية والفرنسية أخيراً عن نظريات العلامة الاقتصادية البلجيكي هنري دي مان؛ ويتميز هذا العلامة من أقطاب الاقتصاد السياسي في العالم، وكان إلى ما قبل عامين يتولى تدريس الاقتصاد السياسي في بعض الجامعات الألمانية، ولكنه عزل منذ قيام الحكومة الهتلرية؛ فناد إلى وطنه يشر بنظرية جديدة في السياسة؛ وخلاصة رأي دي مان أن السياسة الدولية الحاضرة تقوم على الاقتصاد، وأن الأزمة الاقتصادية هي في الواقع أساس كل الانقلابات السياسية العنيفة التي وقعت في العهد الأخير؛ ولم يكن قيام الفاشية في إيطاليا، وقيام الهتلرية في ألمانيا إلا من أثر الأزمة الاقتصادية؛ وليس هناك وسيلة لحماية النظم الديمقراطية ومقاومة الطغیان أفضل من ترقية الاقتصاد القومي ومقاومة الأزمات الاقتصادية. ولنظريات هنري مان أثر كبير في بلجيكا، وله نفوذ عظيم في الأوساط الاشتراكية والديمقراطية.

ميركي يصبح شاعراً

أصبح الستار في وستمنستر مؤخراً بمحضور الدوق أوف بورك عن النصب التذكاري الذي أقيم تخليداً لذكرى لندساي جوردون شاعر استراليا القومي.

وقد أسهمت الصحف والمجلات بهذه المناسبة في الكلام عن حياة هذا الشاعر، الذي أسندت إليه أمانة الشعر في أستراليا بعد موته وبعد حياة عجيبة حافلة بالفاشرات.

ولد لندساي في سنة ١٨٣٣ والتحق في شبابه بالمدرسة الحربية في « ودرينتش » وهناك عرف شارلوس غوردون الذي عرف فيما بعد باسم غوردون باشا.

وأعزم لندساي بالألعاب الرياضية، وامتاز في مباريات الملاكمة والسباق وركوب الخيل، وعند ما بلغ التاسعة عشرة من عمره ركب أحد جياد السباق واشترك به في إحدى المباريات.

على الرغم من أنف صاحب الجواد، وفاز بالجائزة الأولى، ولكن صاحب الجواد كان قد أبلغ الشرطة فألقى البوليس القبض عليه وكانت المدرسة الحربية قد طردته، وضاق أبوه به ذرعاً، فرحل إلى أستراليا؛ ومع أنه كان منوذاً بخطاب توصية إلى حاكم أستراليا الجنوبية إلا أنه لم يستغل هذا الخطاب، وانضم إلى فرقة البوليس الرأكب؛ ولكن حدث في أحد الأيام أن طلب إليه ضابطه أن ينظف حذاءه، فغضب لندساي واعتقد أنه أهين فترك خدمة البوليس واشتغل (جوكياً) واشترك في كثير من المباريات، وسقط عن ظهر جواده مراراً وأصيب برضوض. أقعده عن العمل مدة.

وفي سنة ١٨٦٤ توفي أبوه، فورث عنه بضعة آلاف من الجنيهات. وتزوج بابتة فندقي كانت قد عنيت به في مرضه وفي هذه الأثناء اشتغل لندساي بقرض الشعر، ونشر ديوانه في سنة ١٨٦٧، ولكن الديوان لم يلق رواجاً، ولم يبع منه أكثر من مائة نسخة، فغضب لندساي على الشعر كما غضب قبلاً على خدمة البوليس.

وفي سنة ١٨٧٠ كان لندساي يعاني أزمة شديدة، لأن المرض أقعده عن ركوب الجياد، وماتت ابنته الوحيدة وضاعت الدنيا في وجهه. فقصده إلى غالب قريب، وهناك أطلق الرصاص على نفسه فمات منتحراً وهو لا يزال في السابعة والثلاثين من عمره. ولم يشترك في تشييع جنازته غير بضعة أفراد.

ولم تكد جثته توارى في التراب حتى شرع بعض الأدباء في استعراض قصائده. وما لبثت أستراليا أن وجدت فيه شاعرهما القومي. ولا يوجد الآن تلميذ في مدارس أستراليا لا يحفظ عن ظهر قلبه قصيدته المشهورة (الفارس المريض) « الجريدة السورية اللبنانية »

ذكرى عمارة الماني

احتفل المعهد العلمي الألماني أخيراً بذكرى العلامة المخترع فرتز هابر الذي توفي منذ نحو عام في برلين، ودفن في صمت.

سطح الأرض امتلأت الأولى بهياكل شيان طوال القامة ، والثانية بهياكل متلاصقة الأجسام من رجال ونساء . غار المكتشفون في هذه الهياكل وظلوا ينقبون ويعملون حتى عثروا على لوحات كتبها المؤرخون القدماء أمانت اللثام عن سر العرفتين الذي يمد في التاريخ أبرز حادث للتبذل والقساوة

وهذه اللوحات تشير الى كاهنة شابة تدعى « ليسوبامو » كانت تتمتع بنفوذ الملوك والملكات . وهذه الكاهنة كانت محبوبة من الشعب ومقدسة منه

ولكن حدث لسوء الحظ أنها أحببت شاباً من عامة الشعب غنق أخوها على هذا الشاب وقتله . وغضبت الكاهنة وتبدلت أخلاقها واستحالت من فتاة محتشمة الى امرأة متبذلة ؛ وصارحت أخاها الذي قتل عشيقها الأول دفاعاً عن عرضها بأنها ستقدم نفسها الى كل عابر ، وأنها ستحب الرجال جميعاً وتنتقم منهم جميعاً

ومضت الكاهنة في حياة التبذل حتى أصبحت فضائحها حديث الناس . وعندئذ خطر لها أن تلتصق الحصانة بإيهام الناس أنها ارتفعت الى مصاف الآلهة . ونجحت في ذلك ، ولم تذكر لنا اللوحات كيف نجحت

ضمت الكاهنة اليها عدداً كبيراً من أجل البنات أطلقت عليهن اسم « حاشية العذارى » واشترطت عليهن أن يحدن حذوها في التفرير بالرجال والتمسك بهم ، وتوعدت بالوت كل فتاة تحب رجلاً وتخلص له

وهكذا كانت الفتيات يردين الغلال الرقيقة التي تكشف عن تقاطيعهن الجميلة وينطلقن في شوارع المدينة ليلاً لاصطياد الفتيان ، ثم يمدن بهم الى القصر حيث يقضى الجميع الليل كله في التبذل واحتساء الخمر وتعاطى الأفيون حتى اذا أقبل الفجر وضعت كل فتاة في كأس فتاة قطرة من سم عجيب لا تذكر بجانبه سموم يورجيا ودي مديس ، وبعدئذ يأتي المييد فيحملون الرجال الى غرفة خاصة بقضون فيها نجسهم قبل أن يفيقوا من نشوة الخمر

وكان يتفق في بعض الأحيان أن تحب الفتاة أحد أولئك الرجال فتؤثر أن تموت معه ، وتضع السم في كأسها وكأسه ، فيحمل المييد الاثنين الى الغرفة الثانية الخاصة بالمشفين

ولم تذكر اللوحات التي عثر عليها رجال البمثة كيف كانت خاتمة تلك الكاهنة الثالثة المتبذلة « الأرز »

مطبق . ولهذا الاحتفال الذي يقيمه أعظم معهد علمي في ألمانيا ، يجمع أقطاب العلم الألماني كله ، مغزى مدهش . ذلك أن فرتر هابر يهودي تنكره ألمانيا النازية ، وتنكر كل جنسه ، ولكن فرتر هابر هو أيضاً أعظم كيمائي ومخترع ألماني ظهر في العصر الأخير ، وهو الذي اخترع « غاز » الحرب الخائف ، وأمد ألمانيا خلال الحرب بأعظم سلاح استطاعت أن تصمد به لخصومها أعواماً ، وقد لبث هابر عميد الباحث الكيمائية الألمانية حتى قام الطغيان النازي في ألمانيا ، ونظمت مطاردة اليهود المروعة ، فاعتكف العلامة الشيخ في شبه اعتقال ، وتوفي بعيداً عن كل تكريم وحنجة ، ولكن ألمانيا النازية تحاول اليوم أن تعيد صرح العسكرية البروسية القديمة ، وهي لا ترى اليوم بأساً من أن تكريم ذكرى قطب من أقطاب الاختراعات الحربية ، ولا بأس أن يجتمع أكابر العلماء الألمان برغم النظريات الجنسية لتكريم زميلهم وعميدهم الراحل الذي استطاع أن يستخرج « الآزوت » من الهواء ، وأن يخترع « غاز » الحرب ، وكذلك أقنعة النجاة الواقية من الغاز ؛ وخطب عدة من أكابر العلماء بينهم بعض الرجال الرسميين في تمجيد ذكرى العلامة الراحل وذكرى وطنيته ونهوغه ؛ وأكد العلامة بلانك والكيلولن كيرث أن فرتر هابر يستحق لقب « العالم المجهول » وأنه لولا اختراعاته لما استطاعت ألمانيا أن تتابع الحرب منذ سنة ١٩١٥ ، وذكر الخطباء كيف وفق هابر الى الاختراع « الغاز » في ابريل سنة ١٩١٥ وأشرف بنفسه على أول هجوم استعمل فيه الغاز في منطقة « ايبير » ؛ وأنه لو لم تقتصد ألمانيا في حرب « الغاز » لكان ظفرها في الحرب مرجحاً

ومع أن السلطات الرسمية صرحت باقامة هذا الاحتفال ، فلما حظرت على الصحف أن تنشر عنه شيئاً ؛ ولم يعرف إلا مما نشرته الصحف الأجنبية لراسلها .

وهكذا تعيش ألمانيا النازية في غمر من التناقضات ؛

بعث أثري في الهند تعثر على اكتشاف غريب

عثرت بمشة أثرية انجليزية في الهند على آثار قديمة يرجع عهدها الى خمسة آلاف سنة . وقد تضاربت الآراء في هذه الاكتشافات الغريبة التي وجدها هؤلاء إذ أنها تتألف من تماثيل متباينة الأشكال والأوصاف

فقد وجد رجال البمثة فيها وجدوه قاعتين كبيرتين تحت

سَنَ رَوَائِعِ السَّرَفِ وَالْغَرَبِ

من « شقائق الطور »

لشاعر الهند محمد اقبال

ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام

لماذا تسألني ما أنا ومن أين أتيت ؟ أنا ابن نفسي منذ حييت .
أنا في هذا السيم موج لا يستقر ، فإذا لم أُنقلب على نفسي فنيت
إن عالنا صورة ناقصة ، يتقلب بها الصباح والمساء . أعني
أن مبرد القضاء يسوي هذه الدمية التي لم تتم
شق طريقك بفأسك ، فالمذاب أن تسلك سبيل غيرك ، إن
أبدعت بك عملا ، فهو ثواب وإن كان إنما

إن دليل القلب لا يطمئن إلى المنازل ، ولا تأمره العناصر .
لا تحسبته مستريحاً في البدن ، فهذا البحر لا يألف السواحل
أخذت خلوتي بين الماء والطين ، وفرت من الفارابي
وأفلاطون . ما اجتديت من أحد عينا ، وما رأيت العالم إلا بعيني
أيها القلب خذ رمز الحياة عن البراعم ، فالحقيقة في مجازها
متجلية . لأنها تنبت من التراب المظلم ، ولكن نظراتها
أشعة الشمس عبر الوهاب عزام

أيها الفاضل لا تختم على الساحل . فهناك نغم الحياة واهنة .
اقذف بنفسك في اليم وتقلب مع أمواجه ، فالحياة الخالدة في
هذا الجلال

لا تحدث بالحياة وحقائقها ، فلست بصيرا بطرائقها . لقد
انتشيت من لذة الأسفار ، حتى لا أرى المنزل على الطريق إلا
كالنار (١)

إن عالنا الذي لا يمدد غريق في بحر الأيام ، فانظر إلى القلب
تري الأيام غرق في هذا الجlam (٢)

أنا نجي طير المروج الخضراء ، وأنا لسان البراعم الخرساء ،
فإذا مت فاذر ترابي في الصبا ، فلست أعرف إلا الطوفان
حول الورد

أ يظهر وادي الأزهار هذا كل كائن ؟ فما الذي في ضاهر
الشقائق المحترقة ؟ نحن نرى المروج موجة من اللون والريح ، فليت
شعري ما المروج في نظر البلايل ؟

أيها النير أنت ابن الأسلام ، فاهجر الأنساب والألوان .
إذا غر العربي باللون والدم ، والمصعب والجلد ، فليس منا ولساننا منه
لسان من الأفنان ولا الترك والتتار ؛ نحن بنو هذا المروج ،
نتمت لنا دوحة واحدة . إن فرقة اللون والريح علينا حرام فقد
أنبئتنا ربيع واحد

(١) يرى المنزل الذي يريد مناراً يرشد إلى منزل آخر وهم جرا

(٢) يعني أن القلب صغير كالكلاب ولكن يحوى العالم

صدر كتاب :

الأطلال

رواية قصصية تأليف محمود نجور

يطلب من جميع مكاتب مصر الشهيرة وثمنه :
خمس قروش مصرية

أطلبوا ايضاً

أبو علي عامل أرتست

مجموعة قصص المؤلف

الوحدة

L'isolement

لشاعر الحب والجمال لاسرنيين

مقدمة إلى الأستاذ . . . أحمد حسن الزيات

لدى (١) مَرَحَة من فوق قلة شاطئ

جلست شريد الفكر منشعب القلب
يشيخ طرفي الشمس عند دلو كما ويرقب من تلك المشاهد ما يصي
إذ النهر صخاب تلاطم موجه

قد انساب في الوادي فأمعن في الشعب
ولمذ طرف أمواج البحيرة رافد تراءى نجوم الليل في غمرها الرحب
وما زال ذوب التبر بعد غروبها

ينير أعالي الدوح فوق ذرى المضرب
وراح ملك الليل يختال صاعداً
إلى عرشه العلوي في رفرف رطب
وفي جنبات الأرض تبر مشمع
به ازدهر الأفق الجميل من السكب
وقد رن في الأجواء ناقوس معبد
فكف عن الأعمال فلاح قرية . . .
قد اختلطت تلك الأرائين بالذي
ولكن نفسي من مباهج ما رأت
أجل اكانت الدنيا بعيني كأنها
خيال مطيف لا يقر على هذب
وهل تدق الموق من الشمس شملة

تشع على الأحياء في السهل والكثب ؟
أقلب طرفي في الجبال وفي الربي

وفي الشفق الباكي من الشرق للغرب !!
وفي القفر، وللأهول، في غسق الدجا
لأنقض ما فيها : قابلق من لاري
عسى أن أرى لي في محل سعادة
ولست يلاق أو أغيب في الترب
ومات صنع الوديان لي ، وجواسق
إذا هي لا تبدو لعيني جميلة . . .
ألا يا مغاني الأنس أنت عزيزة
لنسية مخلوق مدى الدهر واحد
سواء أتبدو الشمس أم هي تحتق
ويظلم ليل . . أم ينير صباحه
ويسعد أو يشقى أنيس مع السرب

فليس لنفسي في مهاري بنية ولا في غدى مادمت أحياء بلال
ولست أرى إذ أتبع الشمس ناظري تدور على الأكواف أفقها الرحب
أجل لا أرى إلا فراغاً وخلوة لنأى حبيب ليس يلقى لدى الترب
وما حاجتي فيمن تظلمه السبا

ومن تحت نور الشمس يهتز كالقضب
وخلف مدار الشمس شمس مدارها على عالم أسمى تمنع بالحجب . . . !!
فلو أن نفسي أطلقت من قيودها لألفت حبيب القلب يحيا مع الشعب
فأسعد باللقيا ، وأنعم بالني

وأحسو رحيق الخلد من ريقها العذب
لدي تمتع لم تهف يوماً بسمع
ولا خبطت في فكر ذي شغف صب
وأني لنفسي أن تطير فتلتق . . .
وقد قيدت من حواء الطين بالحب
فيا ليت شعري لم قضى الله أن أرى
شريدًا ؛ وخلي ليس ينعمه قربي
وأسلمها قر الخريف إلى السلب
إذا ما ذوت أوراق دوح بحر جها
وهبت من القطب الرياح زعازعا
وحلى شبيه في حياتي بحالها
فيا ورح نفسي من زعازعها النكب
ألا فاثمري يا أعاصير مثلما
نثرت من الأوراق في جوك الرحب
فما بعد هذا الصبح إلا دجنة
وما بعد يأسى وانفرادي سوى خطبي
دبر الزور
هجر الجبار الرهي

سلم خضير

٥٠٦٥



١٠٥٧

بريشة ذهب عيار ١٤

مضمون ٣ سنوات

لشاعر الحب والجمال لاسرنيين

مكتبة رطبة خضيرة شارع عبد العزيز بصر

الكتب

علم الدولة : تأليف الأستاذ أحمد وفيق

أبو تمام : تأليف عمر فروخ

للأستاذ محمود الخفيف

فابتدأ به الجزء الثاني الذي أحدثك عنه ، واختتم بالثورة الفرنسية ، وهي فترة لذيذة ممتعة بما تخللها من مواقف وحوادث كان لها أعظم الأثر في تطور فكرة الدولة ، وحسبك من تلك الحوادث الثورة الفرنسية الكبرى ، وما شهد لها به كبار الفلاسفة من آراء في هذا الموضوع الخطير هذا ولقد ارتفعت كثيراً إلى أسلوب الأستاذ وفيق للإلمامته لطريقته ، فهو يتدفق من غير التواء ولا تعقيد ، ويتبسط في غير حشو ولا إسفاف

والكتاب الثاني عبارة عن رسالة صغيرة موضوعها أبو تمام ، شاعر الخليفة محمد المنتصم بالله ، ويقع في مائة صفحة من القطع الصغير ، صدره مؤلفه الأديب عمر فروخ بصورة خيالية للشاعر بريشته ، وهو على صغر حجمه ، قد جمع كثيراً مما يهم كل أديب معرفته عن أبي تمام ، ولقد كان صاحبه موفقاً في تقسيم موضوعه ، فابتدأ بالترجمة مبيناً حياة الشاعر عهداً عهداً ، ولا يخفى على القارئ أثر ذلك في المساعدة على تفهم شعره . بعد ذلك أخذ يشرح خصائص أبي تمام وما امتاز به من غيره ، وعرض أقوال المخالفين له والمجيبين به ، ثم ختم بحثه بنقد فنون الشاعر ، جارياً في ذلك وفق ما اصطلاح عليه النقاد ، دون أن يحول ذلك بين إدلائه برأيه في دقة وانصاف جديرين بالثناء ، فأفاض في نقد مدح أبي تمام وموقفه من

أما أولها وهو علم الدولة ، فهو الجزء الثاني من تلك الوسوعة الكبيرة التي اضطلع بتأليفها وإهدائها إلى لفة الضاد الأستاذ أحمد وفيق ، ولعل القراء يذكرون أني حين قدمت إليهم الجزء الأول منها أشرت إلى خطر هذا المؤلف الجليل لمصر والعالم الشرق ، ولا سيما في هذا العصر الذي تشغل السياسة فيه عقول بني الشرق في توثيقهم وتطلعهم إلى الحرية

ومما تقتبط له بحق ، وقد طال افتقارنا في نهضتنا العلمية إلى هذه الناحية من نواحي المعرفة ، أن الأستاذ قد جرى في هذا المؤلف على طريقة البسط والعرض تعمقهما المناقشة والتحليل ، فهو يستوعب هذا العلم ويلم بأطرافه ، لا ينادر شيئاً مما قيل فيه ، فضلاً عن أنه يسير في سرده مع التاريخ فينتقلك من عصر إلى عصر ويربك مبلغ ما طرأ على نظريات هذا العلم من تطور حسبما صرت فيه من عصور . وهو إلى جانب هذا يقف عند كل نظرية مبيناً لك مدار حولها من المناقشات ومقدار ما لاقت من تأييد أو تفنيد

أقول إن هذه الطريقة التي سار عليها الأستاذ المؤلف هي ميزة الكتاب الأساسية ، وإن كان في القراء سوى من قد يعيها ، إذ يستحضر في ذهنه تلك الكتب التي وضعت في هذا العلم في غير لئنا وكان قوامها التخصص والاستقصاء والتعمق ، فالعالم هناك يتناول ناحية خاصة من جزئيات العلم ويعرضها في تحليل ودقة ونقص ، مما يفتق الذهن وبرهنة ويلذه ، ولكننا الآن أو على الأقل كثرتنا ، لم نتمتع بعد مرحلة الألام والاستيعاب . وخير ما يعمل به المؤلف في هذه الحالة أن يعرفك إلى العلم ، حتى إذا تم لك ذلك أمكنك أن تتابع فيه من يتفلسف ويتقصى وقف الجزء الأول من هذا الكتاب عند عهد الإصلاح ،

أدولف

كتاب الرجال والنساء

خالد في سجل الزمن

لأنه كتاب القلب والروح

ثمان النسخة ١٠ صاغ

يطلب من مكتبة النهضة

المصرية والمكتبات الشريفة

مدحيه ، ثم بسط طريقته في الرثاء ومكانته في هذا الباب ، وتعرض لقدرة في الوصف مستشهداً في ذلك كله بآيانه المشهورة محلاً لها مبيناً رأيه فيها مما يشهد المؤلف بحسن الذوق ، ويكسب رسالته على الرغم من صغر حجمها كثيراً من الثناء والتقدير الخفيف